الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

-جامعة تلمسان-

برنامج مقياس النص الأدبي القديم

للسنة الدراسية 2021/2020.

الأستاذة: حياة عمارة

مقدّمة

إنّ الحديث عن الأدب العربي يستلزم بالضرورة البحث في أصله وبدايته، وأقسامه وعصوره، وتأثيره على المجتمع والحياة كافّة. وهذا ما نتغيّ دراسته من خلال مجموعة محاضرات تندرج ضمن مقياس النص الأدبي القديم، وتخصّ الكتابات الأدبية الّتي وصلتنا من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي شرقا والأندلسي غربا.

المقياس موجّه لطلبة السنة الأولى ليسانس. وفيه يتمّ دراسة فنون النّص الأدبي الّتي عرفتها تلك الحقبة الزمنية، وفيه تسع وعشرون محاضرة جمعت بين فنون الشعر والنثر.

ونروم من خلال هذه المحاضرات تحقيق أهداف بيداغوجية تتلخّص في:

-تعريف الطالب بالنص الأدبي القديم-شعرا ونثرا-وفنونه المختلفة

-التعرف على الظروف التاريخية والحضارية الّتي أسهمت في إنتاجه وأثّرت فيه.

-التعرّف على الخصائص الفنّية والموضوعاتية لهذا الموروث الأدبي.

-ربط الطالب بتراث أمّته الثقافي.

وقسّمنا عملنا إلى جزئيين-احتراما للبرنامج المسطّر-الجزء الأوّل يخصّ الجانب الشعري من الموروث الأدبي، فيما يدرس الجزء الثاني النثر الأدبي القديم. وهو موزّع على الشكل الآتي:

الجزء الأوّل(السداسي الأوّل): النص الأدبي القديم(شعرا)

المحاضرة الأولى: نشأة الشعر الجاهلي

-أثر الشعر في الحياة العربية.

-فنون الشعر الجاهلي.

-خصائص الشعر الجاهلي.

المحاضرة الثانية: المعلّقات

-معلّقة امرؤ القيس

-الخصائص الفنّية للمعلّقة.

المحاضرة الثالثة: مطالع المعلّقات

-معلّقة زهير بن أبي سلمى.

-معلّقة طرفة بن العبد.

-معلّقة لبيد بن ربيعة العامري.

-معلّقة عمرو بن كلثوم التغلبي.

-معلّقة عنترة بن شدّاد.

-معلّقة الحارث بن حلّزة اليشكري.

المحاضرة الرابعة: قضيّة الانتحال في الشعر الجاهلي

-آراء النقاد القدامى.

-آراء النقاد المحدثين.

المحاضرة الخامسة: أثر الإسلام في الشعر العربي.

-أثر القرآن في الشعر.

-خصائص الشعر الفنية في صدر الإسلام.

-آراء النقاد حول شعر صدر الإسلام.

المحاضرة السادسة: قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير.

-شرح القصيدة.

-الخصائص الفنّية للقصيدة.

المحاضرة السابعة: شعر الفتوحات في عصر صدر الإسلام.

-نماذج عن شعر الفتوحات.

-خصائص شعر الفتوحات.

المحاضرة الثامنة: المراثي النبوية.

-نماذج عن المراثي(شعر الفتوحات).

-خصائص شعر المراثي.

المحاضرة التاسعة: الشعر في العصر الأموي

-تذوّق الأمويين للشعر وعنايتهم بتدوينه.

-خصائص الشعر الأموي.

-أغراض الشِّعر الأُموي.

-شُعراءُ العَصْرِ الأُمَوِيِّ.

المحاضرة العاشرة: شعر النّقائض

-أشهر شعراء النّقائض.

-نماذج عن سعر النقائض.

-خصائص شعر النّقائض.

المحاضرة الحادية عشر: الغزل العذري والغزل العمري

-الغزل العذري.

-الغزل الصريح.

-خصائص شعر الغزل.

المحاضرة الثانية عشر: شعر الحكمة في العصر العباسي

-شعراء الحكمة في العصر العباسي

*المتنبي.

*أبو فراس الحمداني.

*أبو تمام.

*أبو العلاء المعري

*ابن الرومي.

-أبيات في الحكمة من الشعر العباسي.

المحاضرة الثالثة عشر: الموشّحات والأزجال الأندلسية

-الموشحات.

*أجزاء الموشح ومصطلحاته.

*نماذج من الموشح.

-الأزجال

المحاضرة الرابعة عشر: الشعر الجزائري القديم(بكر بن حماد التاهرتي)

-حياته.

-أغراض شعره.

-خصائص شعره.

الجزء الثاني(السداسي الثاني): النثر العربي القديم

المحاضرة الأولى: النثر الجاهلي.

-أنواع النثر.

-فنون النثر الجاهلي وخصائصه.

*الخطابة.

*الوصايا.

*الأمثال.

*الحكم.

*سجع الكهان.

المحاضرة الثانية: خطبة قسّ بن ساعدة الإيّادي

-شرح الخطبة.

-الخصائص الفنية للخطبة.

المحاضرة الثالثة: الخطابة في الإسلام.

-خطبة الوداع.

-ظروف الخطبة ومناسبتها.

-مقتطفات من الخطبة.

-موضوعات الخطابة في صدر الإسلام

-أسلوب الخطابة.

-نماذج عن الخطابة في عصر صدر الإسلام.

*خطبة أبي بكر الصدّيق-رضي الله عنه-

*خطبة عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-

*خطبة طارق بن زياد.

المحاضرة الرابعة: السرد في الأدب العربي القديم.

-تعريف السرد.

-أركان السرد.

المحاضرة الخامسة: تقنيات السرد في ألف ليلة وليلة. حكاية حاسب كريم الدين.

-نبذة عن كتاب ألف ليلة وليلة.

-السرد في كتاب ألف ليلة وليلة.

المحاضرة السادسة: تقنيات السرد في كليلة و دمنة. باب القرد و الغيلم

-التعريف بكتاب كليلة ودمنة.

-مضمون باب القرد والغيلم.

-السرد باب القرد والغيلم.

المحاضرة السابعة: نشأة المقامة في الأدب العربيّ

-تعريف المقامة.

-بديع الزمان الهمذانيّ.

-شرح مقامة بديع الزمان الهمذانيّ المضيرية.

-عناصر المقامة.

-عناصر المقامة.

-لغة المقامة.

-مقتطفات من المقامة المضيرية.

-مقامات الحريري.

-منامات الوهراني.

المحاضرة الثامنة: كتابة الترسل

-تعريف فن الترسل.

-نموذج: رسالة الرسول-صلّى الله عليه وسلّم-إلى ملك الروم.

-نموذج: رسالة عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- إلى أبي موسى الأشعري حين ولاّه القضاء.

-فنّ الترسّل في العصر الأموي.

-نموذج: مقتطفات من رسالة عبد الحميد إلى الكتّاب.

-فنّ الترسّل في العصر العباسي.

المحاضرة التاسعة: أنواع الرسائل

-الترسل الديواني.

-الترسل الإخواني.

-الرسائل الوعظية.

-الرسائل التعليمية.

-البناء الفنّي للرسالة.

-شروط الرسالة.

المحاضرة العاشرة: أدب الرحلة

-تاريخ أدب الرحلة.

-خصائص أدب الرحلات.

-كتّاب أدب الرحلة.

المحاضرة الحادية عشر: أدب التصوّف

-تاريخ نشأة الأدب الصوفي.

-منهج الصوفية المتقدّمين.

-قضايا الأدب الصوفي.

المحاضرة الثانية عشر: قضايا ومصادر الأدب الصوفي في المغرب العربي

-مصنفات المشرق الأقصى.

-المحاضرة الثالثة عشر: النثر الجزائري القديم.

-نشأة الأدب الجزائري القديم.

-أهمّ العوامل الّتي ساعدت على انتشار اللغة العربية في شمال إفريقيا.

المحاضرة الثالثة عشر: النثر الجزائري القديم

-نشأة الأدب الجزائري القديم.

-أهمّ العوامل الّتي ساعدت على انتشار اللغة العربية في شمال إفريقيا.

المحاضرة الرابعة عشر: عوامل نشوء الأدب الجزائري القديم.

-عامل الفتن والحروب.

-الازدهار النسبي للثقافة والعلم.

-حبّ الحرية.

المحاضرة الخامسة عشر: أنواع النثر الجزائري القديم

-فن الرسالة.

-فن المنامات.

-فن الرحلات.

-فن السيرة الذاتية.

-فن التراجم.

-فن الشروح الشعرية.

الجـــزء الأوّل: الســـداســـي

الأوّل

النـــص الأدبي القـــديم(الشعر)

المحاضرة الأولى: نشأة الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي الّذي وصلنا كان كاملا في أوزانه، راق في تعابيره ومعانيه، فلا بدّ أن يكون قد سبقه أقوال من الشعر لم يكن وزنها كاملا و لا نسجها محكما و لا معانيها راقية، ثمّ أخذت ترقى حتّى كانت القصائد و المعلّقات بحالتها الّتي وصلتنا، و دليل ذلك قول امرئ القيس:

عُوجَا عَلَى الطَلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا يَبْكِي ابْنُ خُذَام

وابن خذام هذا شاعر كان قبل امرئ القيس لم يصلنا شعره.

وأقدم شعر وصل إلينا كان أيّام حرب الباسوس أو قبل ذلك بقليل، أي أنّه لا يعدو مائة عام. يقول الجاحظ في كتابه الحيوان" أمّا الشعر فحديث الميلاد، صغير السنّ، أوّل من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ بن حجر و مهلهل بن ربيعة...فإذا استطردنا الشعر وجدنا له-إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين و مائة عام، وإذا ما استظهرنا بغاية الاستظهار وجدنا مائتي عام."

وكان الشعراء الأوّلون يقولون الأبيات عند الحادث يعرض لهم، أو عاطفة تهيج لها نفوسهم، ثمّ ارتفعوا في هذا الباب فكانوا يقصّدون القصائد، و قد ذكر أنّ أوّل من ذلك المهلهل بن ربيعة(خال امرئ القيس).كما ذُكر أنّ الشعر بدأ بالرجز لسهولة وزنه وهو: مستفعلن مستفعلن مستفعلن، ثمّ تنقل الشعر إلى بحور الشعر المعروفة.

أثر الشعر في الحياة العربية:

كان الشاعر من ضرورات القبيلة، يعلن مناقبها ويردّ بشعره كيد أعدائها، ويحمّسها في الحرب، لذلك كانت القبيلة تغتبط بالشاعر ينبغ فيها وتعتقد أنّه الذّائد عنها و الرافع لشأنها، يقول ابن رشيق (العمدة)"كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت

القبائل فهنّأتها و صنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان لأنّه حماية لأعراضهم وذبّ عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم، يشيد بالخامل فيرفعه ويثلب الرفيع فيضعه، ويسير قوله في الناس فيكون له الأثر البعيد لذلك كان الناس يتسابقون إلى إكرام الشعراء اتّقاء لذمّهم أو رغبة في مدحهم."

فنون الشعر الجاهلي:

أكثر أنواع الشعر الجاهلي غنائي من هجاء وفخر وغزل ورثاء ووصف، وكان الهجاء أوضح مظهر من مظاهر الشعر الجاهلي وأكثر فنونه، ذلك لأنّ الحروب تكاد تكون متواصلة، وكانت حرب اللسان صدى لصليل السيوف ووقع السهام. فالشاعر من قبيلة يهجو القبائل الأخرى ويعيّرها بأفعالها ويتبع ذلك بالفخر بنفسه وبقومه، وما أتى وأتوا من مناقب وأعمال عظام.

كذلك الغزل، فقد شبّبوا بالنساء ووصفوا جمالهنّ. والشعراء في ذلك بين متهتّك في شعره فاحش كامرئ القيس، وعفيف مثل عنترة وزهير.

ولهم شعر الحكم، صاغوا غيه تجاربهم في الحياة ونظراتهم إلى العالم وأخلاق من حولهم من الناس، وقد نبغ في ذلك الشنفرى وزهير بن أبي سلمى.

وأجادوا في وصف ما يحيط بهم من مناظر كوصف امرئ القيس للّيل ولبيد بن ربيعة وطرفة للناقة والشنفرى للذئاب الجائعة والنّابغة لنهر الفرات وعنترة للرّماح، واستخدموا في هذا الوصف تشبيهات رائعة اشتقّها خيالهم من بيئتهم ولم يمعنوا في التصوّرات الخيالية، بل كانوا أقرب إلى وصف الواقع كما هو، مستعنين بالهيال القريب.

خصائص الشعر الجاهلي:

كـان الشـعر الجـاهلي صـورة صـادقة لحيـاة العـرب الاجتماعيـة، فالشـعر ديـوان العـرب سـجّلوا فيـه حـروبهم وأخبـارهم وعـاداتهم وعقليـتهم...دوّن فيـه الشـاعر مـا رأى ومـا شـعر ومـزج فيـه الحياة الّتي حوله بمشاعره وعبّر عن ذلك بأصدق لفظ وأقربه.

يمتـاز الشـعر الجـاهلي بقلّـة التكلّـف وهـذا نتيجـة الحيـاة البدويـة. والشـاعر الجـاهلي أميـل إلى الإيجـاز، يعـبّر عمّـا يقصـده بأقـرب لفـظ وأوجـزه، غـير ميّـال للغرابـة (فـإن كانـت هنـاك ألفـاظ غريبـة علينـا فـذلك لبعـد عهـدنا بالشـاعر) وهـو أزهـد مـا يكـون في تزويـق اللفـظ وتجميلـه، لا يتعمّـد إلى جنـاس أو ضـرب آخـر مـن البـديع إلاّ أن يأتي عفـوا. تسـير القصـيدة فيـه علـى مـنهج واحـد، تبتـدئ بالتشـبيب بالمـرأة ووصـف انتقالهـا مـن مكانهـا ووقوفـه علـى أطلالهـا وبكـاء دمنهـا، ثمّ يصـف فرسـه أو ناقتـه وسـرعتها وسـهولة سـيرها، وقـد يصـف مـا مـرّ عليـه في طريقـه، ثمّ ينتقـل إلى غرضـه مـن القصـيدة فجـأة مـن غـير تكلّـف في الـربط غالبـا مـن مـدح أو فخـر بقبيلتـه أو هجـاء لغيرهـا أو وصـف وقعـة أو تحـذير لقـوم أو شـخص مـن أن تحدّثـه نفسـه بالتعـدّي علـى قومـه. وقـد يسـوق أبيـاتا مـن الحكمـة يختـم بهـا قصـيدته. وأوضـح مـا يمثّـل هـذا الشعر المعلّقات

المحاضرة الثانية: المعلّقات

المعلّقـات اسـم أطلـق علـى قصـائد طـوال مـن الشـعر الجـاهلي، وسـبب تسـميتها بهـذا الاسـم مـا رواه بعـض الدارسـين مـن " أنّ العـرب عمـدت إلى سـبع قصـائد اختارتهـا مـن الشـعر القـديم فكتبتهـا بمـاء الـذهب وعلّقتهـا في أسـتار الكعبـة، فمنـه يُقـال مذهّبـة امـرئ القـيس ومذهّبـة زهير... ويقال لها معلّقات."

وممّـن أيّـد هـذا الـرأي ابـن عبـده ربّـه صـاحب العقـد الفريـد، وابـن رشـيق صـاحب العمـدة وابـن خلدون في مقدّمته.

ومـن العلمـاء مـن أنكـر تعليقهـا علـى الكعبـة ورأى أنّ هـذه القصـائد الطـوال إنّمـا جمعـت في العصـر العباسـي، جمعهـا حمّـاد الروايـة (أحـد علمـاء الأدب وروايتـه، تـوفي سـنة156هـ)ذلـك أنّـه لمـا رأى زهـد النّـاس في الشـعر جمـع هـذه القصـائد وقـال لهـم إنّهـا هـي المشـهورات فسـمّيت القصائد المشهورة.

وممّـن ذهـب إلى هـذا الـرأي أبـو جعفـر النحـاس أحـد علمـاء اللغـة و الأدب(338هـ) وكـذلك الباحثون المحدثون ينقسمون إلى مذهبين ولكلّ أدلّته.

كمـا اختلـف في عـدد المعلّقـات أو الطـوال وعـدد أصـحابها، فبعضـهم يجعلهـا ثمانيـا وبعضـهم يجعلهـا عشـرا، والقـول المشـهور أنّهـا سـبع وأنّ أصـحابها هـم امـرؤ القـيس الكنـدي وزهـير بـن أبي سـلمى المـزني، وطرفـة بـن العبـد البكـري، ولبيـد بـن ربيعـة العـامري، وعمـرو بـن كلثـوم التغلـبي وعنترة بن شدّاد العبسي والحارث بن حلزة اليشكري.

وعلـى العمـوم فهـي مـن خـير شـعر العـرب وأدلّـه علـى لغـتهم وبلاغـتهم ووصـف حيـاتهم الاجتماعية ومناحيهم في الحياة.

معلّقة امرؤ القيس

يعـدّ امـرؤ القـيس رأس فحـول شـعراء الجاهليـة والمقَـدّم في الطبقـة. فهـو أوّل مـن أجـاد القـول في بكـاء الـديار وتشـبيه النسـاء بالظبـاء والمهـا البـيض، وفي وصـف الخيـل، وتجويـد الاسـتعارة وتنويـع التشبيه، وذلك لسعة خياله بكثرة رحلاته.

مطلع القصيدة

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لمْ يَعْفُ رَسْمُها لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

تَـرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَـا وَقِيْـعَانِهَا كَأَنَّـهُ حَبُّ فُلْـفُـلِ

كَأَنِّي غَـدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّـلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوْفًا بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمُ يَقُوْلُوْنَ: لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

يعدّ النقاد هذا المطلع من مبتكراته، إذ وقف واستوقف وبكى وأبكى من معه، ثمّ ذكر كيف أنّ أصحابه يحاولون أن ينفّسوا عنه وهو غارق في ذكرياته. ثمّ ينتقل انتقالا سريعا يقصّ علينا مغامراته مع النساء، وكأنّه يريد أن يثير الغيرة في قلب فاطمة، فهو يذكر لها بعض صويحباته (مثل أمّ الحويرث وأمّ رباب وغيرهما) وفي أثناء ذلك يتعهّر ولا يتستّر، ثمّ يعود فيبثّ فلطمة حبّه مصوّرا دلالها ومعاتبا لها عتابا رقيقا

أفاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أزمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

وَإِنْ تكُ قد ساءتكِ مني خَليقَةٌ فسُلّي ثيابي من ثيابِكِ تَنْسُلِ

أغَرَّكِ مِنِّي أنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وأنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ؟

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فِي أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وبعد وصفه لمغامراته (الّتي تعدّ من الغزل الفاحش) يعود ليصف شقاءه بحبّ فاطمة

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

ألَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألَا انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإصْبَاحُ منِكَ بِأَمْثَلِ

كَأَنَّ الثُرَيّا عُلِّقَت في مَصامِها بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

فهو يتصوّر الليل بسواده وهمومه كأنّه أمواج لا تنتهي، ويحسّ بأنّه طال وأسرف في الطول حتّى ليظنّ كأنّ نجومه شدّت بحبال إلى صخور صلبة حتّى لا تتحرّك ولا تزول. وينتقل الشاعر بعدها إلى وصف فرسه وصيده

وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَـرِدٍ قَيْـدِ الأَوَابِـدِ هَيْـكَـلِ

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًـا كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

يزل الغُلَامُ الخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ وَيُلْـوِي بِأَثْـوَابِ العَنِيـفِ المُثَقَّـلِ

لَهُ أيْطَلا ظَبْيٍ، وَسَـاقَا نَعَامَـةٍ وإِرْخَـاءُ سَرْحَـانٍ، وَتَقْـرِيْبُ تَتْفُـلِ

الخصائص الفنّية للمعلّقة:

1-من حيث المضمون:

يعدّ امرؤ القيس أوّل من نهج للشعراء الجاهليين الحديث في بكاء الدّيار والغزل القصصي ووصف الليل والخيل والمطر والسيول والشكوى من الدّهر.

2-من حيث النسق الفنّي:

*القصيدة متقطّعة، ينتقل قارؤها من مجموعة أبيات إلى مجموعة أخرى.

*كلّ مجموعة تشكّل وحدة، والانتقال من وحدة إلى أخرى يتمّ غالبا بشكل مفاجئ.

*غياب منهج واضح في بناء المعلّقة (ربّما يعود ذلك إلى الطريقة الّتي جمع بها الرواة مقطوعاته).

*أكثر الشاعر من التشبيهات حتّى أنّنا لنجد البيت الواحد كلّه تشبيهات، شبّه المرأة بالمسك وبالشجرة والثمرة والقنديل المضيئ...والحصان بقيد الوحوش والصخرة الصلبة...وهكذا أسرف الشاعر في استخدام التشبيه والاستعارة.

*المحسّنات البديعية مبثوثة في أبيات القصيدة، وهو ما يبرز اهتمام الشاعر بالملاءمة بين ألفاظه والعناية بموسيقاه، ولأجل ذلك عُدَّ أب الشعر الجاهلي.

المحاضرة الثالثة: مطالع المعلّقات

✓ **معلّقة زهير بن أبي سلمى**

هو زهير واسمه ربيعة بن رباح المزني، أحد الثلاثة المتقدّمين من الجاهلية (فحول الطبقة الأولى) وأعفّهم قولا وأوجزهم لفظا، وأغزرهم حكمة وأكثرهم تهذيبا لشعره. ولد نحو 530م وتوفي سنة 627م (قبل البعثة بسنة)

كان صاحب رؤية وتعمّل وتهذيب لما يقول ولا سيما مطوّلاته (لا يظهرها إلاّ بعد حول لذا سمّيت بالحوليات)

نظم معلّقته المشهورة على إثر نشوب الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان بسبب خلاف على نتيجة السباق بين داحس(فرس قيس بن زهير سيّد بني عبس) والغبراء(فرس حمل بن بدر من بني ذبيان) وقد طالت الحرب وكثُر عدد قتلاها حتّى قام رجال الخير والإصلاح وفي طليعتهم هرم بن سنان والحارث بن عوف بالصلح بين القبيلتين، ودفعا ديّات القتلى من أموالهما الخاصّة، فمدحهما زهير بشعر خالد صوّر فيه الجوانب القاتمة من الحرب والقتال وأدلى بآرائه الاجتماعية وحكمه وأمثاله في قالب شعري جميل السبك، رائع الإيقاع.

مطلع المعلّقة

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا ... مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ... فَلأياً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

أَثَافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلِ ... وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

الشرح:

1-حومانة الدراج والمتثلّم: موضعان.

إنّ الدمن بمنازل أمّ أوفى لا تجيب، وهو يقصد أنّه ولبعد عهده بالدّمنة وتغيّرها لم يعرفها وأصبح يشكّ في أمرها.

2-الرّقمتان: حراتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى قريبة من المدينة، مراجيع الوشم: تجديده، نواشر المعصم: عروقه. شبّه رسوم دارها بوشم في المعصم قد جدّد بعدما كان قد انمحى.

3-العين: البقر الواسعة العينين، الأرآم: الظباء البيضاء، خلفه: يخلف بعضه بعضا، الأطلاء: جمع طلا وهو ولد الظبية والقرة الوحشية، المجثم: مكان الجثوم. يقصد أنّ الديار الّتي كانت تأوي حبيبته أصبحت اليوم مرتعا للأنعام ترتع فيها هي وصغارها.

4-الحجّة: السنة، اللأي: المشقّة والجهد. عاد الشاعر لتلك الديار بعد عشرين سنة فوجدها قد تغيّرت بل تلاشت حتّى أنّه لم يتعرّف عليها إلاّ بعد جهد كبير.

5-الأثافيّ: جمع أثفيّة: حجارة توضع عليها القدر، السّفع: السود، المعرس: أصله المنزل وأطلق على المكان الّذي ينصب فيه القدر، النؤي: اهير يحفر حول البيت، الجذم: الأصل الحوض ويراد به نهرا صغيرا، لثم: انمحى واختفى.

لم يتمكّن الشاعر من التعرّف على البيت إلاّ من خلال تلك البقايا الّتي هدته للتأكّد أنّ المنزل منزل محبوبته كالحجارة الّتي كانت تستعمل للطهي وكذا النهر الصغير الّذي كان يحيط بالبيت.

- ✓ **معلّقة طرفة بن العبد.**

هـو عمـرو بـن العبـد البكـري، أقصـر فحـول شـعراء الجاهليـة عمـرا. مـال إلى الشـعر و الوقـوع بـه في أعـراض النّـاس، حـتّى هجـا عمـرو بـن هنـد ملـك العـرب علـى الحـيرة، فلمّـا بلـغ عمـرو هجـاء طرفة له حقد عليه وأمر بقتله. قتل في البحرين وهو ابن ستّ وعشرين سنة.

يجيـد طرفـة الوصـف للنّاقـة في شـعر مقتصـرا فيـه علـى بيـان الحقيقـة مـع قصـد في الغلـو و معاضلة (تعقيد) في بعض التراكيب، واسترسال في وحشي اللفظ وخفيّ المعنى.

معلّقته

لِخَـوْلَةَ أطْـلالٌ بِبُرْقَـةِ ثَهْمَدِ تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ يَقُـولُونَ لا تَهْلَـكْ أسىً وتَجَلَّـدِ

كَـأنَّ حُـدُوجَ المَالِكِيَّـةِ غُدْوَةً خَلاَيَـا سَفِيْنٍ بِالنَّـوَاصِفِ مِنْ دَدِ

عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِيْنِ ابْنَ يَامِنٍ يَجُـورُ بِهَا المَلاَّحُ طَـوْراً ويَهْتَدِي

يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا كَمَـا قَسَمَ التُّـرْبَ مفَايِـلُ بِاليَدِ

الشرح

1-برقة: مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى، ثهمد: موضع، تلوح: تلمع.

يتحـدّث عـن أطـلال ديار خولـة، هـذا الموضـع الّـذي يخـالط أرضـه حجـارة وحصـى مـن ثهمـد فتلمع تلك الأطلال لمعان بقايا الوشم في ظاهر الكفّ.

2-التجلّـد: التصـبّر. صـاحباه يحثّانـه علـى التصـبر. هـذا البيـت يحمـل المعـنى نفسـه الّـتي يحملهـا بيت امرئ القيس.

3-حدوج: جمع حدج وهو مركب من مراكب النساء، المالكية: نسبة إلى بني مالك من قبيلة كلب، خلايا: جمع خليّة وهي السفينة العظيمة، النواصف: جمع ناصفة وهي أماكن تتّسع من نواحي الأودية، دد: وادي

كأنّ مراكب العشيقة المالكية غداة فراقها بنواحي وادي دد سفن عظيمة. شبّه الإبل وعليها الهوادج بالسفن العظام.

4-عدولية: قبيلة من أهل البحرين، ابن يامن: رجل من أهلها، الجور: العدول عن الطريق.

هذه الإبل يسوقها الحداة، يقودونها على سمت الطريق تارة ويميلون بها عن الطريق تارة ليختصروا المسافة.

5-حباب الماء: أمواجها، الحيزوم: الشدر، ترب: ضرب من اللعب يجمع التراب ويوضع فيه شيء ثمّ يقسم التراب نصفين. شبّه شق السفن الماء بشق المفايل(الرجل يفايل إذا لعب هذا الضرب من اللعب) التراب المجموع بيده.

✓ **معلّقة لبيد بن ربيعة العامري:**

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء المجيدين، من بني عامر صعصعة إحدى بطون هوازن من مضر. نشأ جوادا شجاعا فاتكا. لما ظهر الإسلام وأقبلت وفود العرب على النبيّ-صلّى الله عليه وسلم- جاء لبيد في وفد بني عامر و أسلم، وعاد إلى بلاده، و حسن إسلامه وتنسّك وحفظ القرآن كلّه.

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب وظلّ بها حتّى مات أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة(661م). قيل إنّه عاش ثلاثين ومائة سنة.

نبغ في الشعر وهو غلام وجرى فيه على سنن الأشراف و الفرسان. أمّا معلّقته فنظمها بدافع نفسي مثّل بها في تصويره أخلاقه و مآثره ومآتيه الحياة البدوية والبدوي الأبيّ النفس العالي الهمّة.

مطلع المعلّقة

عَــفَتِ الدِّيَار مَحَلُّــهَا فَمُقَامُــهَا بِمِنىً تَأَبَّــد غَــوْلُهَا فَرِجَــامُــها

فَمَــدافِعُ الرّيَــانِ عُرّى رَسْمُــهَا خَلقًا كما ضَمِنَ الوُحيَّ سِلامُها

دمِنٌ تَجَرَّمَ بعدَ عَهْدِ أنِيسِهَا حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُهَا وحَرَامُهَا

رزقَتْ مرابيعَ النُّجومِ وصابَهَا ودقُ الرواعدِ جوْدُهَا فرهامُها

منْ كلِّ سَارِيَة ٍ وغادٍ مُدْجِنٍ وعشيَّــة ٍ متجــاوبٍ إرْزامُهَا

1-عفت: انمحت، الْمَحلّ من الديار: ما حلّ فيه لأيام معدودة، والمقام منها: ما طالت الإقامة به، منى: موضع بحمى ضرية غير منى الحرم، تأبّد: توحش، الغول والرجام: جبلان معروفان.

عفت ديار الأحباب وانمحت منازلهم ما كان منها للحلول دون الإقامة وما كان منها للإقامة، وهذه الديار كانت بالموضع المسمى منى، وقد توحشت الديار الغولية، والديار الرجامية منها لارتحال قطانها واحتمال سكانها، والكناية في غولها ورجامها راجعة إلى الديار، قوله: تأبد غولها، أي: ديار غولها وديار رجامها، فحذف المضاف.

2-المدافع: أماكن يندفع عنها الماء من الربى، الريان: جبل معروف، الوحيّ: الكتابة، السلام: الحجارة

توحّشت الديار وتوحّشت مدافع جبل الريان لارتحال الأحباب، شبّه بقاء الآثار لقدم الأيّام ببقاء الكتاب في الحجر(لم تعرّ خلقا وإنّما عرّيت بالسيول)

3-التجرّم: الانقطاع، العهد: اللقاء، حجج:ج حجة، الخلو: المضيّ، حلال و حرام: أراد الأشهر الحرم وأشهر الحلّ.

قد مضت سنون بكاملها على ارتحالهم.

4-مرابيع النجوم: المنازل الّتي تحلّها الشمس فصل الربيع(مرباع)، صابها(الصوب) أصابه، الودق: المطر، الجود: المطر التّام، الرهام: المطر الليّن.

روقت الديار والدمن أمطار الأنواء الربيعية فأمرعت وأعشبت وأصابها المطر: إنّ تلك الديار ممرعة معشبة لترادف الأمطار المختلفة عليها.

5-السارية: السحابة الماطرة ليلا، المدجن: الملبس آفاق السماء (أدجن الغيم)، الإرزام: التصويت. فسّر تلك الأمطار: هي من كلّ مطر سحابة سارية.

جمع لها أمطار السنة لأنّ أمطار الشتاء أكثرها يقع ليلا، وأمطار الربيع أكثرها غداة، وأمطار الصيف أكثرها يقع عشيّا.

✓ **معلّقة عمرو بن كلثوم التغلبي.**

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي. نشأ في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفّرا، وأكثر ما كانت فتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب الباسوس الّتي دامت أربعين سنة حتّى كان آخر صلح بينهما على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ثمّ أراد هذا الأخير أن يكسر أنفه تغلب بإذلال سيّدها (عمرو بن كلثوم) فدعاه وأمّه ليلى بنت مهلهل وأغرى هندا أمّه أن تستخدمها في قضاء أمر، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ثمّ رحل إلى بلاده بالجزيرة وأنشد معلّقته المشهورة. عاش عمرو بن كلثوم مائة وخمسين ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن.

شعره: لم يشتهر عمرو إلاّ بمعلّقته الواحدة الّتي قامت مقام الشعر الوفير لحسن لفظها وانسجام عباراتها ولقيمتها التّاريخية. فهي تدلّنا على حالة العرب من حيث الدّين و الاجتماع والعادات والصناعات...

مطلع المعلّقة

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا المَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

تَجُورُ بِذِي اللُّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحِ إِذَا أُمِرَّتْ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا

صَبَنْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليَمِينَا

الشرح:

1-الأندرين: قرى بالشام، اصبحينا: سقى الصباح.

ألا استيقظي من نومك أيّتها الساقية واسقيني الصبوح بقدحك العظيم ولا تدّهري همر هذه القرى.

2-مشعشة: ممزوجة بالماء، الحص: نبات له نوار أحمر يشبه الزعفران، سخينا: السخاء.

كأنّها من شدّة حمرتها بعد امتزاجها بالماء ألقي فيها نور هذا النبات الأحمر، فإذا شربناها وثملنا جدنا بمالنا.

3-اللبانة: الحاجة، تجور: تميل وتعدل.

يمدح الخمر ويقول إنّها تنسي الهموم والحوائج، فأصحابها إذا شربوا لانوا ونسوا وحوائجهم.

4- اللّحز: الضيّق الصدر، الشحيح: البخيل.

ترى الإنسان الضيّق الصدر البخيل مهينا لماله فيها إذا أديرت عليه.

5-صبنت: صرفت الكأس. صرفت الكأس عنّا يا أمّ عمرو زكان مجرى الماء على اليمين فأجريته على اليسار.

✓ **معلّقة عنترة بن شدّاد**

هو عنترة بن عمرو بن شدّاد العبسي وأمّه زبيبة أمة حبشية. كان أبوه قد استعبده على عادة العرب في استعباد أبناء الإماء. وقد حدث أن أغار قوم من العرب على قبيلة بني عبس، فطلب منه أبوه أن يقاتل مقابل عتقه ففعل وأعتقه أبوه وألحقه بنسبه. كان عنترة بطلا شجاعا، كبير النفس، رقيق القلب، رحب الصدر، عفيفا. مات قبيل البعثة.

لم يشتهر عنترة أوّل أمره بشعر غير البيتين والثلاثة حتّى عيّره بعض قومه بسواده وأنّه لا يقول الشعر.

فاحتجّ لسواده بخُلُقِه وشجاعته، واحتجّ لفصاحته بنظم معلّقته المشهورة وقد ضمّنها خصاله ومكارم قومه وحسن دفاعه عنهم ووفرة جوده، معرّجا فيها على أوصاف أمور شتّى (ناقته، نفسه، فرسه، بطشه)

مطلع المعلّقة

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ **أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ**

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي **وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاِسلَمي**

فَوَقَفتُ فيها ناقَتي وَكَأَنَّه **فَدَنٌ لِأَقضِيَ حاجَةَ المُتَلَوِّمِ**

وَتَحُلُّ عَبلَةُ بِالجَواءِ وَأَهلُنا **بِالحَزنِ فَالصَمّانِ فَالمُتَثَلَّمِ**

حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقادَمَ عَهدُهُ **أَقوى وَأَقفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيثَمِ**

1-غادر: ترك، المتردّم: أي شيء يُستصلح ويسترقع بجما اعتراه من الوهن

هـل تـرك الشـعراء موضـعا مسـترقعا إلاّ وقـد رقّعـوه وأصـلحوه (لم يـترك الأوّلـون للآخـرين شـيئا) أي أنّ الشـعراء لم يتركـوا شـيئا إلاّ رجعـوا نغماتـه بإنشـاء الشـعر وإنشـاده في وصـفه ورصـفه حـتّى لم يتركـوا لي شـيئا أقولـه، ثمّ ينتقـل في الشـطر الثـاني ليتسـاءل إذا كـان قـد عـرف دار الحبيبـة، فهو تساوره شكوك حول تلك الدار بسبب الحال الّذي آلت إليه.

2-الجواء: بلد (جمع الجو: الوادي)، عمِي: أنعم الله صباحك وأدامك سالمة.

يا دار حبيبـتي تكلّمـي وأخبريـني عـن أهلـك مـاذا فعلـوا، ثمّ ينتقـل في الشـطر الثـاني إلى تحيّتهـا: طاب عيشك في صباحك وسلمتي يا دار حبيبتي.

3-فدن: قصر، المتلوّم: المترقّب والمنتظر.

حبسـت ناقـتي في دار حبيبـتي (شـبّه الناقـة بالقصـر لعظمهـا) وإنّمـا وقفتهـا لأقضـي حاجـة المترقّب الّذي يجزع ويبكي على فراقها.

4-الصّمان أو الصوان: مكان معروف عند العرب.

عبلـة نازلـة بهـذا الموضـع (الجـواء) وأهلنـا نازلـون بهـذه المواضـع (الصـمان والمتـثلّم). وفي هـذا تعبـير عن بعده عن حبيبته.

5-أقوى وأقفر: خلا من السكان.

حييـت مـن جملـة الأطـلال أي خصّصـت بالتحيّـة مـن بينهـا. هـو يقـف علـى أطـلال ديار حبيبته بعدما خلت وقد هجرها أصحابه.

✓ **معلّقة الحارث بن حلّزة اليشكري:**

هـو أبـو عبيـدة الحـارث بـن حلـزة بـن مكـروه، مـن أهـل العـراق. وينتهـي نسـبه إلى: يشـكر بـن بكـر بـن وائـل، وينتهـي نسـب وائـل إلى نـزار بـن مَعَـدّ بـن عـدنان. وقـد شـهد الحـارث بـن حلـزة حرب البسوس.

كـان الحـارث بـن حلـزة خبـيرًا بقـرض الشـعر ومـذاهب الكـلام، ومعلّقتـه قـد جمعـت طائفـة مـن أيام العـرب وأخبارهـا، ووَعَـت ضـروبًا مـن المفـاخر يقـام لهـا ويقعـد. وقـد ارتجلهـا بـين يـدي عمـرو بـن هنـد الملـك وهـو غضـبان متـوكّئ علـى قوسـه، وقيـل بـل كـان قـد أعـدّها قبـل ذلـك. أنشـدها ردّا على عمرو بن كلثوم وغضبا لقومه. فأعجب الملك بها وقرّبه إليه.

أمّـا شـعره فهـو قليـل جـدًّا لأنّـه كـان مـن المقلّـين. وإنّمـا اشـتهر بمعلقتـه هـذه الّـتي رفعـت مـن قـدره، وجعلتـه في صـف شـعراء الجاهليـة المجيـدين. عمّـر الحـارث طـويلا ومـات قبـل الهجـرة بنحو خمسين سنة. كان شديد الفخر بقومه.

في معلّقتـه مـن الـدّهاء في التّعـريض بالتغلبيـين وسـرد الحـوادث التاريخيـة ومـن الحكمـة والرزانـة مـا يجعلها أفضل مثال للشعر السياسي في العصر الجاهلي.

مطلع المعلّقة

آذَنَـتـنـا بِبَـيـنِـها أَسمـاءُ ... رُبَّ ثـاوٍ يُمَـلُّ مِنهُ الثَواءُ

بَـعْـدَ عَـهـدٍ لَهـا بِبُرقَـةِ شَمّـا ... ءَ فَـأَدْنى ديارَها الخَلْصاءُ

فَالْمُـحـيّـاةُ فَالصِّفـاحُ فَأَعنا ... ق فِتاقٍ فَعاذِبٌ فَالوَفـاءُ

فَريـاضُ القَطـا فَأَودِيَـةُ الشّـرْ ... بُبِ فَالشُّعْبَتـانِ فَالأَبْلاءُ

لا أَرى مَن عَهِدتُ فيها فَأَبكي ... اليَومَ دَلْهًا وَما يُجيرُ البُكاءُ

1-الإيذان: الإعلام، البين: الفراق، الثواء والثُويّ: الإقامة والفعل ثوى يثوي.

أعلمتنـا أسمـاء بمفارقتهـا إيّانا، أي بعزمهـا علـى فراقنـا، ثم قـال: ربّ مقـيم تمـلّ إقامتـه ولم تكـن أسماء منهم، يريد أنّها وإن طالت إقامتها لم أملّها، والتقدير: ربّ ثاو يملّ من ثوائه.

2-العهد: اللقاء والفعل عهد يعهد.

عزمت على فراقنا بعد أن لقيتها ببرقة شَمّاء وخلصاء التي هي أقرب ديارها إلينا.

3-و4-هذه كلها مواضع عهدها بها.

قد عزمت على مفارقتنا بعد طول العهد.

5-الإحارة: الرد، من قولهم: حار الشيء يحو حورًا، أي رجع، وأحرته أنا أي رجعته فرددته.

لا أرى في هذه المواضع من عهدت فيها، يريد أسماء، فأنا أبكي اليوم ذاهب العقل وأي شيء رد البكاء على صاحبه؟ وهذا استفهام يتضمّن الجحود، أي لا يرد البكاء على صاحبه فائتًا، ولا يجدي عليه شيئًا، و المعنى: لما خلت هذه المواضع منها بكيت جزعًا لفراقها مع علمي بأنّه لا طائل في البكاء. الدَّلْه والدَّلَهُ: ذهاب العقل، والتدلية إزالته.

المحاضرة الرابعة: قضيّة الانتحال في الشعر الجاهلي:

تعرّض الكثير من الشعر الجاهلي للضياع بسبب اعتماد الشعراء على الرواية دون التّدوين الّذي لم يبدأ إلاّ مطلع القرن الثاني الهجري مع الطبقة الأولى من الرواة العلماء الّذين تخصّصوا في رواية وتدوين الشعر الجاهلي.

فقد ثبت أنّ الجاهليين اعتمدوا الرواية لحفظ أشعارهم لما كانوا يتمتّعون به من ملكة أدبيّة فطرية، ومع هذه الحافظة القويّة فقد أصيب الشعر الجاهلي-مع الضياع-بالافتراء والاختلاق عليه من قبل بعض الرواة، وهو ما حمل النقاد القدامى على نقد الرّواة وتجريح الوضّاعين والتّنبيه إلى الشعر المنحول. من هؤلاء المفضّل الضبيّ الّذي نقد حمّاد الراوية، والأصمعي نقد خلف الأحمر، وأبة الفرج الأصفهاني الّذي رفض روايات ابن الكلبي عن دريد بن الصمت وبعض أشعاره. فقد تنبّه إلى أنّها مكذوبة ملفّقة من قبل ابن الكلبي نفسه. كما أنّ أبا عمرو بن العلاء بعد أن ذكر أبياتا لذي الأصبع العدواني نصّ على أنّه لا يصحّ من أبيات ذي الأصبع إلاّ الأبيات الّتي أنشدها وأنّ غيرها منحول.

ويعدّ ابن سلاّم الجمحي أوّل من أثار في إسهاب مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" وقد ردّها إلى عاملين: عامل القبائل الّتي كانت تتزيّد في مناقبها وعامل الرواة الوضّاعين.

يقول ابن سلام" لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيّامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم ثمّ كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار."

وقد لفتت قضيّة انتحال الشعر الجاهلي أنظار الباحثين المحدثين من العرب و المستشرقين، ويعدّ مرجليوث أكبر من أثار هذه القضيّة في كتاباته، إذ كتب مقالا مفصّلا سنة 1925م بعنوان "أصول الشعر العربي" ومن أبرز ما أثار فيه من زعم قوله: "لو أنّ هذا الشعر صحيح لمثّل لنا لهجات القبائل المتعدّدة في الجاهلية كما مثّل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية و اللغة الحميرية في الجنوب." وردّ عليه شوق ضيف:" إنّ لغة القرآن الفصحى كانت سائدة في الجاهلية وأنّ الشعراء كانوا ينظمون بها و أنّها كانت لهجة قريش و سادت لأسباب دينية و اقتصادية و سياسية.

ومن العرب المحدثين الّذين تعرّضوا للمسألة نجد الأديب مصطفى صادق الرافعي الّذي جمع في كتابه "تاريخ آداب العرب" آراء القدامى. وكذا طه حسين فدرس القضيّة دراسة مستفيضة في كتابه "الشعر الجاهلي" الّذي أحدث رجّة عنيفة أثارت كثيرين من المحافظين والباحثين فتصدّوا للردّ عليه، ولم يلبث أن ألّف مصنّفه " في الأدب الجاهلي" الّذي نشره سنة 1927م، وفي فصّل القضيّة، وممّا جاء فيه "إنّ الكثرة المطلقة ممّا نسمّيه أدبا جاهليا ليست من الجاهليّة في شيء، وإنّما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثّل حياة الجاهليين. وأكاد أشكّ في أنّ ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدّا، لا يمثّل شيئا ولا يدلّ على شيء، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي."

ويردّ شوقي ضيف على طه حسين فيقول" والحقّ أنّ الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير، غير أنّ ذلك لم يكن غائبا عن القدماء، فقد عرضوه على نقد شديد تناولوا به روّاته من جهة وصيغه و ألفاظه من جهة ثانية أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق ومعنى ذلك أنّهم أحاطوه بسياج محكم من التحرّي و التشبثّ، فكان ينبغي أن لا يبالغ المحدثون من أمثال مرجليوث وطه حسين في الشكّ فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه، إنّما نشكّ حقّا فيما يشكّ القدماء ونرفضه، أمّا ما وثّقوه ورواه أثباتهم من مثل أبو عمرو بن العلاء و المفضّل الضبي و الأصمعي وأبو زيد فحريّ أن نقبله ما داموا قد أجمعوا على صحّته، ومع ذلك ينبغي أن نُخضعه للامتحان وأن نرفض بعض ما رووه على لأسس علميّة منهجية لا مجرّد الظنّ كأن يُروى لشاعر شعر لا يتّصل بظروفه التّاريخية أو تجري فيه أسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته، أو يضاف إليه شعر إسلامي النّزعة ونحو ذلك ممّا يجعلنا نلمس الوضع لمسا."

المحاضرة الخامسة: أثر الإسلام في الشعر العربي.

جاء الإسلام حاملًا راية التوحيد، ثائرًا على أخلاق الجاهلية. وكان القرآن الكريم السلاح الأوّل ليردّ على أبواق المشركين، كما كان فضله على اللغة العربية فضلاً كبيرًا إلى حدّ يصعب حصره وتقديره، فقد حفظ هذه اللغة من الضياع وخلّدها بخلوده، حتّى أنّه أدحض بلاغة العرب قاطبة وهي الأمّة الّتي كانت تتباهى بالبلاغة والشعر وتقيم أسواقًا للشعر يحكّمون فيها رجالات الشعر، هؤلاء الّذين- بحكم عروبتهم وطبيعة حياتهم-كانوا يقرضون الشعر في كلّ وقت وكلّ مجال، وقد ذكر ابن سلاّم مدى قوّة الشعر وتأثيره في حياة العرب فقال: "وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علومهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون."

أثر القرآن في الشعر

كـان أثـر القـرآن في الأدب العـربي واضـحًا في مبنـاه ومضـامينه الفكريـة، إذ أبعـد الشـعراء والخطبـاء عـن غرابـة اللفـظ ووعـورة المسـالك اللغويـة وجـدّد في أغراضـهم الأدبيـة بموضـوعات لم يألفوهـا مـن قبـل، وأدخـل علـيهم قيمًـا إنسـانية أحلـت مكـان أثـرة الفـرد وعصـبية القبيلـة إيثـار الجماعة ووحدة الأمة الإسلامية.

فـإن مصـدره الإلهـي جعلـه نسـيجًا فريـدًا، فـلا هـو بالنثـر الّـذي عهـدوه، ولا هـو بالشـعر الّـذي نظمـوه، فكـان حُجّـة علـيهم ومعجـزًا لهـم إلى يـوم الـدين، خاطـب الأسـلوب القـرآني عقـل العرب وقلبهم معًا لتقتلع العقائد الجاهلية وتحل محلها العقيدة الإسلامية.

خصائص الشعر الفنية في صدر الإسلام

لم يطـرأ علـى الشـعر كبـير تغيـير في صـدر الإسـلام مـن حيـث أسـاليبه وطرائقـه الفنيـة لأنّ الشـعر فـن يقـوم علـى المحاكـاة، فالشـاعر يحتـذي خطـا أسـلافه. يضـاف إلى ذلـك أن الكثـرة مـن شـعراء صـدر الإسـلام كـانوا مـن مخضـرمي الجاهليـة والإسـلام، ومـن هـؤلاء الحطيئـة وكعـب بـن زهـير والخنسـاء وحسـان بـن ثابـت وكعـب بـن مالـك والعبـاس بـن مـرداس وأبـو ذؤيـب الهـذلي وحميـد بـن ثـور والشـماخ بـن ضـرار ... وهـؤلاء الشـعراء كـان لهـم أسـلوبهم وطـرائقهم المميـزة منـذ العصـر الجـاهلي، ولم يكـن مـن اليسـير أن يغـيروا في ظـل الإسـلام هـذه الأسـاليب، ومـن هنـا لا يجـد الباحث فارقاً ذا شأن في الناحية الفنية بين شعرهم في الجاهلية وشعرهم في الإسلام.

والتطـور الـذي طـرأ علـى شـعرهم منـذ الإسـلام إنمـا يتجلّـى في المعـاني والأغـراض. فقـد اسـتحدثت أغـراض جديـدة وضـمرت أغـراض قديمـة وأمـدّ الإسـلام هـؤلاء الشـعراء بـزاد ثـرّ مـن المعـاني والأفكـار. علـى أنّ أثـر العقيـدة الإسـلامية لم يكـن واحـداً لـدى هـؤلاء، فمـنهم مـن نفـذت العقيـدة الجديـدة إلى أعمـاقهم فانعكسـت في معـانيهم وأغراضـهم، شـأن حسـان بـن ثابـت وكعـب بـن مالـك وعبـد الله بـن رواحـة مـثلاً، ومـنهم مـن كـان أثرهـا ضـئيلاً في نفوسـهم

ونتـاجهم الشـعري، شـأن الحطيئـة مـثلاً. ومهمـا يكـن مـن أمـر فـإن المعـاني الإسـلامية أثـرت بدرجات متفاوتة في شعر صدر الإسلام.

ويمكننا حصر خصائص الشعر كما يلي:

1-قلّـت الفنـون الأدبيّـة الّـتي كانـت منتشـرة قبـل الإسـلام وتطـوّرت بعـض الفنـون الأخـرى وظهرت فنون جديدة.

2-بـدأ الشـعراء يـدعون في شـعرهم مـا تعلّمـوه مـن الإسـلام وبـدأت تظهـر أنمـاط جديـدة مـن الشـعر كشـعر الجهـاد، والفتـوح الإسـلامية، والشـعر الـديني، وأصـبح شـعرهم يتّصـل بالقـيم والمثل الإسلامية.

3-حـافظ الشـعراء علـى أغـراض الشـعر التقليديـة الّـتي اسـتخدموها قبـل الإسـلام، علـى سـبيل المثال المديح فظهر ما يسمّى بالمديح النّبويّ، وهو مدح الرّسول الكريم.

4-اسـتخدام الشـعر لوصـف المعـارك والفتوحـات الإسـلامية الّـتي خاضـها المسـلمون، وتصـوير بطـولات الصـحابة الفرديـة والجماعيـة ووصـف شـجاعتهم وثبـاتهم الشـديد وتصـوير هـول المعارك.

آراء النقاد حول شعر صدر الإسلام

يـذهب بعـض النقـاد إلى أنّ الشـعر قـد خبـت جذوتـه وتـوارت بلاغتـه في أعقـاب البعثـة النبويـة و اعـتراه الضـعف، وأوّل مـن أثاره ابـن سـلَّام في كتابـه "طبقـات فحـول الشـعراء": "فجـاء الإسـلام وتشـاغلت عـن الشـعر العـرب، وتشـاغلوا بالجهـاد وغـزو فـارس والـروم، ولهـت عـن الشـعر وروايتـه فلمّـا كثـر الإسـلام، وجـاءت الفتـوح واطمأنّـت العـرب بالأمصـار راجعـوا روايـة الشـعر، فلـم يؤولـوا إلى ديـوان مـدوّن ولا كتـاب مكتـوب، وألفـوا ذلـك وقـد هلـك مـن العـرب مـن هلـك بالمـوت والقتـل، فحفظـوا أقـلّ ذلـك وذهـب علـيهم منـه كثـير " . ونقـد ابـن سـلَّام لشـعر حسـان بـن ثابـت في الجاهليـة والإسـلام وسـقوط شـعر حسـان – مـن وجهـة نظـر ابـن

سـلَّام – في الإسـلام، وتابعـه في ذلـك ابـن خلـدون وغـيره إلى العصـر الحـديث ومـنهم أحمـد الزيات ومصطفى الشكعة وغيرهم...

أمـا الـرأي الثـاني –الّـذي يمثّلـه شـوقي ضـيف– فـيرى أنّ الشـعر ازدهـر ويؤكّـد رأيـه بالعديـد مـن النمـاذج الّـتي تزخـر بهـا كتـب الأدب وكثـرة عـدد الشـعراء في تلـك الفـترة، ومـواكبتهم للـدعوة الإسلامية. فالشعراء ظلّوا

ينشـدون بالشـكل الّـذي تعـوّدوا أن ينشـئوه وينشـدوه قبـل البعثـة المحمديـة بقليـل، ومضـى كثـيرون ينظمـون في هـذا العصـر لامـع الأحـداث، مستضـيئين إلى حـدّ كبـير بالإسـلام وهديـه الكـريم، فالشـعر لم يتوقّـف، ولم يتخلّـف في هـذا العصـر ... ومـن يرجـع إلى أشـعار العـرب في تلك الحقبة يستقرّ في نفسه أنّ الشعر ظلّ مزدهرا في صدر الإسلام.

المحاضرة السادسة: قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير

كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين ومادح رسول الله–صلّى الله عليه وسلم– أبوه من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية. توفي سنة 24هـ.

عندما ظهر الإسلام وصل خبر ظهوره إلى قبيلة مزينة في وسط الجزيرة العربية، فاتّفق كعب مع أخيه بُجير على أن يذهب أحدهما إلى المدينة المنوّرة لاستطلاع الأمر، فذهب بجير وشرح الله صدره للإسلام فأسلم ولم يعد، فاغتاظ أخوه كعب وهجاه وهجا الإسلام والرسول–صلّى الله عليه وسلّم– فأهدر النبيّ دمه. وبعد فتح مكّة ودخول القبائل كلّها في الإسلام، فزع كعب ولجأ إلى كبار الصحابة فأشار عليه بعضهم أن يذهب إلى مسجد رسول الله ويبايعه ويعتذر له، ففعل وألقى قصيدته اللامية، فعفا عنه وخلع عليه بردته، وصار من شعراء الرسول.

وقف كعب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتدحا ومعتذرا ، فجادت قريحته بأروع الأبيات وأبهاها ، قال في مطلعها :

بـانَت سُعـادُ فَقَلـبي اليَـومَ مَتبـولُ — مُتـيَّـمٌ إِثـرَهـا لَم يُفـدَ مَكبـولُ

وَمـا سُعـادُ غَـداةَ البَينِ إِذ رَحَـلوا — إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ

تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلَمٍ إِذا اِبتَسَمَت — كَأَنَّـهُ مُنهَـلٌ بِالـراحِ مَعلـولُ

أَكْـرِمْ بِهـا خُلَّةً لوْ أنَّهـا صَدَقَـتْ — مَوْعودَها أَو لَو أنّ النُّصْحَ مَقْبولُ

كَـانَت مَـواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَـلاً — وَمـا مَـواعيـدُها إِلّا الأَباطيـلُ

أرْجـو وآمُـلُ أنْ تَدْنـو مَوَدَّتُهـا — ومـا إِخـالُ لَدَيْنـا مِنْكِ تَنْويـلُ

فلا يَغُرَّنْـكَ ما مَنَّتْ وما وَعَـدَتْ — إنَّ الأمـانِيَّ والأحْـلامَ تَضْليـلُ

أَمسَـت سُعـادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُـهـا — إِلّا العِتـاقُ النَجيبـاتُ المَراسيـلُ

علـى عـادة الشـعراء العـرب ابتـدأ كعـب قصـيدته بمقدّمـة غزليـة عفيفـة، يـذكر محبوبتـه ويصـفها ويصـف مـا خلّفـه رحيلهـا عنـه مـن ألم ولوعـة وشـوق، لا سـيما وأنّهـا تمـادت في هجرهـا وتنكّرهـا لـه، فكانـت كعرقـوب وهـو رجـل يضـرب بـه المثـل في الإخـلاف بالوعـود. ثمّ ينتقـل كعـب بعـد ذلـك إلى وصـف الناقـة، وتلـك عـادة عربيـة أصـيلة اتّخـذها الشـعراء. بعـد ذلـك ينتقـل إلى موضـوع القصـيدة الرئيسـي وهـو مـدح رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، وهـو أثنـاء ذلـك يستعطفه و يعتذر منه:

يسعـى الوشـاة جنابيها وقولهـم — إنّك يا ابن أبي سلمى لمقتول

وقـال كـلّ خليل كنـت آملـه — لا ألهينك، إنّي عنك مشغول

فقلت: خلّوا سبيلي لا أبا لكـم — فكـلّ ما قدّر الرحمن مفعول

كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ يَومـاً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ

نبِّئـتُ أَنَّ رَسـولَ اللهِ أَوعَـدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال قُرآنِ فيها مَواعيـظٌ وَتَفصيلُ

لَقَـد أَقـومُ مَقـامـاً لَو يَقـومُ بِهِ أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ

يقـرّ كعـب بحقيقـة الإنسـان في هـذه الـدنيا الفانيـة، والّـتي هـي دار عـيش مؤقّـت نهايـة الإنسـان فيها كفن ونعش يحمل فيه على الأكتاف ليشيّع إلى مثواه الأخير .

ثمّ يعتـذر –بأسـلوب غايـة في الأدب والرقـة– إلى خـير الخلـق، وسـيّد العـرب والعجـم طالبـا عفـوه، آمـلا في منّـه وحلمـه، فهـو صـاحب الرسـالة الهاديـة والقـرآن المنـزّل الشـافي للصـدور. وفي وصـف بليـغ يصـوّر شـدّة خوفـه مـن وعيـد رسـول الله –صـلى الله عليـه وسـلم– وبأنّ الفيـل علـى عظمـة جثّتـه يرتعـد مـن هيبـة وعظمـة النـبي الكـريم، لكـن نفسـه ارتاحـت وسـكنت لما وضـع يـده بأطيب وأشرف يد، فنال عفو سيّد الخلق .

إِنَّ الرَسـولَ لَنـورٌ يُستَضاءُ بِـهِ مُهَنَّـدٌ مِن سُيـوفِ اللهِ مَسلولُ

في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم بِبَطـنِ مَكَّةَ لَمّا أَسلَمـوا زولـوا

زَالوا فَمازالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ عِنـدَ اللِقـاءِ وَلا ميلٌ مَعازيـلُ

شُمُّ العَرانينِ أَبطـالٌ لَبوسُهُـمُ مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قـومـا، وليسـوا مجازيـع إذا نيلوا

مـدح كعـب الرسـول –صـلّى الله عليـه وسـلّم– و وصـفه بالنّـور الّـذي أضـاء الكـون، وأيّ نـور يضـيء بعـد نـور النـبي الهـادي. ثمّ مـدح المهـاجرين بأحسـن الأوصـاف وقـيم النبـل والأخـلاق،

فهم الّذين هاجروا بدينهم وتحمّلوا ما تحمّلوا من مشقّة وعناء، وهم الأقوياء الشجعان ذوو الأصول الكريمة، والهيبة المنيعة استحقّوا شرف رفقة رسول الله –صلى الله عليه وسلم –

الخصائص الفنّية لقصيدة بانت سعاد

1- "بانت سعاد" تمثّل نمط القصيدة الجاهلية، فهي تندرج في إطار القوالب العامّة لقصائد الشعر الجاهلي، حيث حملت من أغراضه الغزل والنسيب والوصف والحماسة والمدح والاعتذار والحِكَم والأمثال، ومن ملامحه فخامة الألفاظ وقوّة الجرس الموسيقي، وتسودها ملامح الحياة الصحراوية فترى فيها الرياح والرمال والجمال والسيوف...

2- القصيدة بأسرها تعتبر كنزا من الدرر البلاغية النفيسة، فنحن أمام شاعر بدوي جاهلي أبا عن جد، فُطم على الشعر كأبيه، فقد شبّه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالسيف والأسد المهاب، وشبّه نفسه بفيل عظيم ارتعد من هيبة الرسول الكريم، كما برع في أسلوب الكناية عندما مدح المهاجرين حيث يصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق...كذلك يصفهم بالصبر والشدّة في الحروب، وقلّة اكتراثهم بأعدائهم، فهم إذا غَلبوا لا يفرحون، وإذا غُلبوا لا يجزعون .

3- البردة لا تخلو من تعبيراتٍ ومضامين إسلامية في مواطن عدّة على رأسها تكرار وصفه ومناداته للنبي –صلى الله عليه وسلم– وكان مقام الاعتذار والاسترحام يقتضي –ما لم يكن مؤمنًا صادقًا– أن يقول يا سيد العرب أو يا سيد قريش.

4- القصيدة على وزنٍ من أكثر الأوزان شيوعًا عند شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وهو بحر البسيط و وزنه (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)

المحاضرة السابعة: شعر الفتوحات في عصر صدر الإسلام

بعد انتشار الإسلام وبعد ما ملئت القلوب بالإيمان، كان طبيعيا أن يوجد بعض التغيير في الشعر، حيث غلب عليه الطابع الإيماني ومراقبة الله عزّ وجلّ، فلم تعد هناك حرّية مطلقة

كما كانت في الجاهلية و أصبحت حرّية مقيّدة بأوامر الدّين ونواهيه، فلا تفاخر بالأنساب ولا عصبية قبلية، و أصبح الشعر يستعمل في تأييد الدعوة الإسلامية ويطابق روح القرآن كالحث على العمل الصالح والموعظة الحسنة ومدح الرسول-صلّى الله عليه وسلّم-وأنصاره و الحض على جهاد أعداء الإسلام و رثاء من استشهد في غزوات رسول الله- صلوات الله عليه وسلامه-

كما شاع على ألسنة شعراء الفاتحين في الفخر والتباهي بالانتصار على جيوش الفرس والروم والتمدّح بشجاعة المسلمين و أبطالهم حتّى أصبح من الصعب عرض كلّ ما نظمه الشعراء في مواقعهم المختلفة

من ذلك موقعة القادسية الّتي قادها أبو محجن الثقفي فقصف وجيوشه الفرس وأطاحوا برؤوس أبطالهم وهم يتصاحبون بالشعر الحماسي. يقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي .

والقادسيةُ حين زاحمَ رستمُ كنّا الحماةُ بهنَّ كالأشطان

الضاربينَ بكلِّ أبيضٍ مخذمٍ والطّاعنينَ مجامعَ الأضغان

وفي الموقعة ذاتها يقول قيس بن المكشوح المرادي (ابن أخت عمرو بن معدّ يكرب) وهو الّذي قتل رستم قائد الفرس في تلك المعارك:

جلبتُ الخيلَ من صنعاءَ تردِي بكلّ مدجّجٍ كاللّيث سامى

إلى وادي القرى فديار كلب إلى اليرموك فالبلد الشآمى

وجئنَ القادسيةَ بعدَ شهرٍ مسوّمةً دوابرُها دوامى

فناهضنا هنالك جمعَ كسرى وأبناء المرازبة الكرام

فلمّا أن رأيتُ الخيل جالت قصدتُ لموقفِ الملكِ الهِمام

فأضربُ رأسَه فهوى صريعاً بسيــفٍ لا أفـلَّ ولا كـهـام

وقد أبلى الإله هنـاك خيرًا وفعلُ الخيــر عنـد الله نامـى

ويقول بشر بن ربيعة الخشعمي مصوّرا بلاءه وبلاء قومه في مواقع القادسية:

تذكّر–هداك الله–وقـعَ سيوفِنا ببابِ قديسٍ والمِكرُّ عسيرُ

عشيّةَ ودَّ القومُ لو أنّ بعضهَم يـُعــارُ جَناحـيْ طائرٍ فيطيرُ

إذا ما فرغْنـا من قِراع ِكتـيبةٍ دلَفْنَا لأخرى كالجِبال تسِيرُ

ترى القومَ فيها واجمين كأنّهم جِمـالٌ بأحمـالٍ لهـنّ زفيـرُ

خصائص شعر الفتوحات:

1–يسود هذا الشعر الإيجاز، فهو شعر اللمحات السريعة والمواقف الخاطفة.

2–غالبيـة هـذا الشـعر مقطوعـات قصـيرة يجـري فيهـا الشـاعر علـى سـجيّته دون تـدقيق في معـنى أو تنقيح للفظ أو التماس وزن أو قافية.

3–الشـاعر يعـبّر عـن خـاطر عـنّ لـه دون معـاناة أو مكابـدة ويرمـي بـه في سـرعة كمـا يرمـي بسـهمه أو يضـرب بسـيفه غـير مفكّـر في تنقـيح أو تهـذيب، لـذلك كانـت تشـيع فيـه البسـاطة وعدم التكلّف.

4–شاع فيه الرجز لأنّه يوائم المواقف الّتي يعيشها أصحابه.

5–الكثير من شعراء الفاتحين مغمورين، ذلك لأنّهم من عامّة الجند .

المحاضرة الثامنة: المراثي النبوية

كـان لوفـاة الرسـول–صـلّى الله عليـه وسـلّم–هـزّة عنيفـة علـى المجتمـع الإسـلامي آنذاكـ إذ تحوّلـت بيـوت الصـحابة ومجتمعـاتهم إلى مـآتم تضـجّ بالبكـاء، فالتاعـت القلـوب وانطلقـت القـرائح تبكـي فقيد الإنسانية ومعلّمها الأكبر ورسولها الأشرف ودليلها الهادي.

ومـن أجـود مـا قيـل في ذلـك عقـب وفاتـه–عليـه الصـلاة والسـلام–قصـيدة حسـان بـن ثابـت الّـتي جاء فيها:

وبْكِي رَسُولَ الله يَا عَيْنُ عَبْرَةً ... ولا أَعْرِفَنَّكِ الدّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُد

وَجُودِي عَلَيْهِ بِالدّمْعِ وَأَعْوِلِي ... لِفَقْدِ الّذي لا مِثْلَهُ الدّهرُ يُوجِد

وَمَا فَقَدَ المَاضُونَ مِثْلَ مُحَمّد ... ولا مِثْـلَـهُ حَتَّى القِيَامَـةِ يُفـْقَـد

وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيّةُ هَالكٍ ... رَزِيَّـةَ يَـوْمِ مَـاتَ فِيـهِ مُحَـمَّـد

تَقَطَّعَ فيه منزل الوَحْيِ عَنْهُم ... وقَدْ كـانَ ذا نُـورٍ يَغُورُ وَيَنْجُـد

يعـدّ حسّـان بـن ثابـت أوّل مـن فـتح باب المراثـي النبويـة، وقـد سـار علـى نهجـه عديـد الشـعراء عـبر مختلـف الأزمنـة و العصـور. يقـول الكميـت بـن زيـد الأزدي (عـاش في العصـر الأمـوي) في الرزية ذاتها:

إِلَى السِّرَاجِ المُنـير أحمـد لا ... يَعْـدِلُـنِي رَغْبَـةٌ وَلاَ رَهَـب

عنـه إلى غيره ولو رفـع الـ ... نـاس إلى العيـون وارتـقـبوا

لجَّ بتفضيـلك اللسـان ولـو ... أكثر فيك الضجاج واللجب

أنت المصفى المهذب المحض في ... النسبة إن نص قومك النسب

وَالسَّابِقُ الصَّادِقُ المُوَفَّقُ والـ ... خَـاتِمُ للأنْـبِيَـاءِ إذا ذهـبـوا

والحاشرُ الآخِـرُ المُصَدِّقُ للـ أوّلِ فيـمـا تنـاسـخ الكتـــب

الشـاعر يشـيد بنسـب الرسـول–صـلّى الله عليـه وسـلّم–الطـاهر، ويـورد صـفاته و أسمـاءه وسـيرته العطـرة. وقـد تفـنّن الشـعراء عـبر العصـور المختلفـة في المراثـي النبويـة حـتّى أنّ بعضـهم عمـد إلى أشـهر القصـائد الجاهليـة كمعلّقـة امـرئ القـيس فحـوّل أبياتهـا إلى مرثيـة في الرسـول–عليـه الصلاة والسلام–من ذلك ما أبدعه حازم القرطاجني، يقول:

لِعَيْنِكَ قُلْ إِنْ زُرْتَ أفْضَلَ مُرْسَـلِ قِفَـا نَبْكِ مِنْ ذِكْـرَ حَبِيبٍ ومَنْـزِل

وَفِي طَيْبَةَ فانْـزِلْ ولا يَغْشَ مَنْـزِلاً بِسَقْطِ اللِّوى بينَ الدّخُولِ فَحَوْمَل

وَزُرْ رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ نَشْرُهَا لِمَـا نَسَجَتْـهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْـأَل

وأَثْوَابَكَ اخْلَـعْ مُحْـرِمًا وَمُصَدِّقًـا لَــدى السّـتْرِ إلاَّ لَبْسَـةَ المُتَفَضِّـل

لَدَى كَعْبَةٍ قَدْ فَاضَ دَمْعِي لبُعْدِها عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَـلَّ دَمْعِي مَحْمَـلي

فَيَا حَادِي الآمَالِ سِرْ بِي ولا تَقُلْ عَفَرَتْ بَعِيرِي يا امرئ القيس فانْزِل

فَقَدْ حَلَفَتْ نَفْسِي بِذاك وأَقْسَمَتْ عَلَــيَّ وآلَــتْ حِلْـفَـةَ لَمْ تَحَـلَّـــل

فقلـتُ لهـا لا شـكَّ أنِّي طائـعٌ وأنَّـكِ مَهْـمَـا تأمـري القلبَ يفعـل

1–كانت المراثي النبوية تصوّر نفسية المسلمين تصويرا بارعا دقيقا.

2–معانيها معاني إسلامية الروح والمحتوى، حيث سادتها المفاهيم والقيم الإسلامية الرفيعة.

3–تفـنّن الشـعراء في رثاء الرسـول–صـلّى الله عليـه وسـلّم–وذكـر محاسـنه وصـفاته، والحـزن عليـه وذكر أمجاده.

4–صـورة الـرثاء تغـيّرت لأنّ الـدين الإسـلامي غـيّر النفـوس وهـذّبها وجعـل الإنسـان يـؤمن بالقضاء والقدر.

المحاضرة التاسعة: الشعر في العصر الأموي

استمرّ الشعر العربي في تألّقه في العصر الأموي، وقد ساعدت ظروف الحياة ومنجزات الدولة الأموية آنذاك على توسيع مجالات القول وإثراء اللغة، فقد وجد الشعراء في تعداد الآراء السياسية وتباين الأحزاب والجماعات وإيمان القادة بدور الشعر وأهميته، وجدوا في ذلك كلّه سبيلاً إلى الاهتمام بأمور الدولة، فظهر الشعر السياسي الذي يُعَدُّ من أبرز ملامح التطور الشعري في العصر الأموي، ووجدوا مجالاً جديدًا للإبداع الفني في معارك الفتح ومواطن الظفر والنصر وساعات القتال والخوف، وكان الشعراء يواكبون هذه الحياة الثرية بمشاركتهم الفعلية أو إسهاماتهم الفنية.

ثم جاءت مظاهر الرفاهية التي وفدت على العالم الإسلامي مع اتساع مساحته ومشاركة غير العرب في نواحي نشاطه ووفرة الغنائم وكثرة الأموال، فظهر الغزل الصريح، يلقيه الشعراء واثقين من عفّتهم وتَفَهُّم المجتمع الإسلامي لهم مع ما نالهم أحيانًا من سوء ظن وكدر صفو... بينما أطلق آخرون لأنفسهم الخيال وراء غزل عفيف يتغنّون به، وينسجون حوله القصص والخيالات عن عشّاق عشقوا وماتوا ضحايا الهوى مخلصين لمن أحبّوا.

لقد أدرك الأمويون أهمية الشعراء في الدعاية السياسية لهم إزاء الأحزاب السياسية الأخرى، وأهميتهم في إبراز منجزات الدولة ودحض حجج الخصوم، ولذلك فقد جمعوا حولهم جماعة من أكابر الشعراء في ذلك العصر، منهم من اختصّ بهم وانقطع إليهم، ومنهم من مدحهم بين الحين والآخر، وكان ذلك دأب ولاتهم أيضًا. وبعض هؤلاء الشعراء ظلّ على ولائه لبني أميّة حتّى في أيام محنتهم أو تسلط خصومهم. وَوُجِدَ شعراء آخرون منحرفون عن الأمويين منحازون لأعدائهم. وكان هناك فريق آخر من الشعراء الّذين لا ينتمون إلى حزب بعينه .

تذوّق الأمويين للشعر وعنايتهم بتدوينه

كـان عبـد الملـك بـن مـروان خبـيرًا بالشـعر ناقـدًا لـه، وكـان كثـير مـن خلفـاء بـني أميـة يطـرب للشـعر ويجـزي عليـه، وكـان هـذا دأب أمـرائهم، حـتى لقـد أوصـى مسـلمة بـن عبـد الملـك بثلـث مالـه لأهـل الأدب وقـال: "إنهـا صـنعة جُحِـفَ بأهلهـا ". بـل كـان بعضـهم شـعراء معـروفين بجـودة شـعرهم، مثـل: يزيـد بـن معاويـة، والوليـد بـن يزيـد مـن الخلفـاء، وعبـد الـرحمن بـن الحكـم من الأمراء.

ومـن الجـدير بالـذكر هنـا أن اهتمـام الأمـويين بالشـعر لم يقتصـر علـى هـذه الجوانـب المتعـدّدة، بـل امتـدّ أيضًـا إلى محاولـة جمعـه وتدوينـه، حيـث كلّـف الوليـد بـن عبـد الملـك حمـادًا الراويـة بجمـع الشعر الجاهلي في ديوان.

خصائص الشعر الأموي

امتاز الشِّعرُ الأُمَوِي بِعِدَّةِ خّصائِص، أهمّها:

-اعتـنى الشّـعراء بتجويـد شـعرهم، لاسـيما أنّهـم اتّخـذوه حِرفـةً يتكسّـبون بهـا، فراحـوا يتنافسـون في تنقيح شعرهم بغية إرضاء الممدوحين والنقّاد.

-استقى الشُّعراءُ مُفرداتِهم من المعجَم الإسلامِيّ .

-التزمَ الشُّعراءُ الأُمَويُّون بالقافيةِ الواحِدةِ والوزنِ الواحِدِ و الاستهلال بالمقدّمة الطللية .

-جزالـة الألفـاظِ وقُـوَّة التَّراكيـب، فهـو يُعـدّ امتـداداً لقـوَّة القصـيدةِ الجاهليَّـةِ، وكـان لهـم الفضـل الكبـير في الاتّجـاه بالقصـيدة العربيـة نحـو شـكلها الفـني المكتمـل، سـواء مـن حيـث متانـة أسلوبها، وإتقان صياغتها أم من حيث بنائها الفني .

-كان الشعرُ الأمَوِيُّ بمثابَةِ تأريخٍ حقيقيٍ لما حصل من وقائعَ حربيَّةٍ وأحداث تاريخيَّة .

-ظهور شِعر النَّقائض وهو شعرٌ اختُصَّ بذكر التَّعصُّب القَّبَلِيّ والتَّفاخُر بالأحسابِ والأنسابِ وهذه أمورٍ كان الإسلام قد حرَّمها، وقد كان الهدفُ من ورائها التَّنافُسُ على منَحِ الخُلفاء والوزراءِ، وشغْل أوقاتِ العامَّةِ.

أغراض الشِّعر الأُموي

تميّز الشعر في العصر الأموي باحتوائه على العديد من الأغراض الشعرية، بالإضافة إلى استحداث أغراض جديدة، ويُلاحظ في هذا العصر شيوع الترف والغنى بسبب اتّساع الدولة للمسلمين ممّا أدى إلى استقرار الناس في البلاد التي فُتحت، فأثّر ذلك على الشعر وعلى أغراضه التي قيل فيها.

-المدح: أكثر الشعراء من نظم الشعر الخاص بالمدح بهدف نيل العطايا أو طلب العفو، ولم يقتصر المدح على الولاة فحسب، بل تعدّاه إلى نوّابهم مثل أبناء القادة .

-الهجاء: ازدهر الهجاء في الشعر في العصر الأموي، وذلك بسبب تأثير العصبيات القبلية الّتي اشتعلت نيرانها، بالإضافة إلى كثرة الفرق والأحزاب الإسلامية .

-الغزل: تميّز الشعر في العصر الأموي بالغزل العذري، ومن أبرز روّاد شعر الغزل عمر بن أبي ربيعة وقيس بن الملوّح .

-شعر الزهد: ويسند هذا النوع من الشعر إلى الحثّ على الدعوة إلى التقوى والعمل الصالح، وقد انتشر هذا الغرض الشعري في معظم الشعر في العصر الأموي .

-شعر الطبيعة: في هذا العصر لم يهمل الشعراء الطبيعة الّتي ورثوها عن أجدادهم في الصحراء، والواحات والنخيل، فقام الشعراء بوصف ما يجدونه من مناظر طبيعية في البلدان المفتوحة، مُدنها وأنهارها وجمالها وثمارها.

بَـرَزَ أيضـاً في الحيـاة العربيـة لهـذا العصـر شِـعرُ القصـاص والحُـدود ممَّـا شـرّعه الإسـلام، ودخلهـا أيضـاً الخـوف مـن الـولاةِ وخاصـةً مـن عُرِفُـوا بالقَسْـوَةِ مثـلَ الحَجَّـاجِ، كمـا ازدهـرَ الغـزل البَـدَويّ العفيـفِ، والغَـزَلِ الحَضـريّ المتّسِـمِ باللَّهـو والغنـاء والـتَّرف، ولَعـلَّ مـن أهـمِّ أغـراضِ الشِّـعر الأُمـويّ هـو الشِّـعرُ السِّياسِـيُّ والـذي ظهـرَ لكثـرَةِ صـراعِ الأحـزاب السِّياسـيَّةِ علـى اسـتلام الحُكـم مـن خـوارجَ وشـيعةٍ وأُمَـوِيِّيْنَ وهـاشميينَ، ويُعـدّ الغـزلُ والسياسـةُ مـن المسـتَجدَّاتِ في سـاحة الشِّـعرِ الإسلامي في هذا العصر .

شُعراءُ العَصْرِ الأُمَوِيّ

الأَخْطَـلُ التَغلُـبيُّ. جريـر. الفَـرَزْدَقُ. الأَحْـوَصُ. عُمَـرُ بـنُ أبي ربيعَـةَ. كثيرُعَـزَّةَ. ليلـى العامِرِيَّـةُ. يزيـدُ بـنُ الحَكَـمِ الثَقَفِـيّ. نصـيبُ بـنُ رباحٍ. كَعْـبُ بـنُ مَعْـدان الأشـقري. حاجِـبُ بـن ذبيـان (حاجِبُ الفيل). رابِعَةُ العَدَوِيَّةُ.

المحاضرة العاشرة: شعر النّقائض

هـي مُصـطلح أدبيّ يُطلـق علـى نمـطٍ معـيّن مـن الأنمـاط الشـعريّة، وظهـرت في البيئـة الأمويّـة بـين ثلاثـة مـن فحـول الشّـعراء العـرب المعـروفين، وسُمّيـت بالنّقـائض لأنهـا تُقـال لتـنقض مـا يقولـه الآخـر. تُعـدّ النّقـائض مـن الفنـون الشـعريّة المهمّـة، وذلـك لمـا فيهـا مـن قصـص وعـبر وحكـم، إضافةً إلى كونها منبعاً للمعاني والصّور الفنيّة المجسّدة للفكرة والمعنى خير تجسيد .

العوامل المؤدّية إلى نشأة النّقائض

– العصـبيّة القبليّـة: الّـتي مـا زالـت تجـري في عـروق العـرب منـذ الجاهليّـة، سـواءً في تمجيـد القبيلة، أو التّفاخر بالأنساب، أو التحدث عن الشّرف والرِّفعة في الحرب .

–العوامـل الاجتماعيّـة: الـتي أدّت إلى اخـتلاط المجتمـع البـدويّ بالمجتمـع المـدنيّ، ورافقهـا الغنـاء والطّرب والمجون والتّرف.

- تطـوّر الحيـاة العقليّـة والفكريّـة: حيـث سـاعدت علـى الحـوار والجـدل، وشـيوع المنـاظرات السياسيّة في التشريع والفقه والعقيدة في ذلك العصر.

- العوامل الاقتصاديّة: هي متعلّقة بأسباب المعيشة، والبحث عن طريقة لكسب المال .

-العوامـل الذاتيّـة: فكـلّ شـاعر مـن الشـعراء يرغـب في إظهـار قدرتـه ومهارتـه الشّـعرية في الإبداع والتصوير.

أشهر شعراء النّقائض

ارتبطـت النّقـائض بثلاثـة شـعراء هـم: الأخطـل، والفـرزدق، وجريرـ إلّا أنّ النّقـائض لا تعـني أنّ الشّـعراء يحملـون علـى بعضـهم الكـره والحقـد، فعلـى الـرّغم مـن هجـاء بعضـهم بعضـاً إلّا أنهـم حزنـوا علـى فـراق بعضـهم، وخـير مثـال علـى ذلـك هـو رثاء جريـر للفـرزدق عنـد موتـه بقصـيدة مؤثّرة جداً، يقول فيها:

عشيـة راحـوا للفـراق بنـعشـه ... إلى جدثٍ في هـوة الأرض معمقِ

لقـد غادروا في اللّحـد من كـان ... ينتمي إلى كلّ نجم في السّماء محلّقِ

ثوى حامل الأثقال عن كل مُغرمٍ ... ودامغ شيطـان الغشـوم السّملـقِ

عمـاد تميـم كلّـها ولسـانـها ... ونـاطـقـها البـذّاخ في كـلّ منطقِ

نماذج من نقائض الفرزدق وجرير

يقول الفرزدق:

إنّ الّذي سمك السماء بنى لنا ... بيـتاً دعائـمهُ أعـزُ وأطولُ

بيـتـاً زُرارة محـتـبٍ بفنـائِـه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

لا يحتـبي بفنـاء بيتك مثلهـم ... أبداً إذا عد الفعـالُ الأفضـلُ

فيجيبه جرير:

أخزى الذّي سمك السماء مجاشعاً وبنى بناءك في الحضيض الأسفَلِ

بيــتــاً يحمــحم قينكــم بفـنائــهِ دنساً مقاعـده خبيـث المدخَـلِ

قُتــل الزبيـر وأنت عاقدُ حبـوةٍ تبـاً لحبوتك الّتــي لم تحلــلِ

وافــاكَ غــدرُكَ بالزبير على منى ومجـر جعثنــكم بذات الحرمــل

بـات الفرزدق يستـجيــر لنفسه وعجان جعثـــن كالطريقِ ِالمُعمِلِ

ويقول الفرزدق:

حُلَــلُ المُلــوكُ لبــاسُنا في أهلنا والسابغــاتِ إلى الوغى نتسربـلُ

فيجيبه جرير:

لا تذكـروا حللَ الملوكِ فإنّـكم بعـد الزبيرِ كحـائض ٍ لم تغْسِــلِ

ويقول الفرزدق:

أحـلامنا تــزن الجبـال رزانــة وتخـالُــنا جنــًا إذا مــا نجهـــلُ

إنّا لنضـرب رأس كـلّ قبيــلةٍ وأبــوك خلــف أتــانه يتقمـــلُ

فيجيبه جرير:

أبلـغ بني وقبانَ أن حلومَهُم خَــفتْ فلا يزِنُـونَ حبَــةَ َخردَل

خصائص شعر النّقائض

– التنــوّع في الأغــراض الشــعريّة في القصــيدة ســواءً: هجــاء أو رثاء أو مــدح أو وصــف، وذلـك سـيراً علـى تقاليـد القصـيدة العربيّـة الـتي تميّـزت بتنقّلهـا مـن موضـوع إلى آخـر في القصـيدة نفسها .

–التـأثّر بأسـلوب المنـاظرة والّـذي يعتمـد علـى الجـدل علـى ثقـة بصـحّة الموقـف والحُجّـة، ويعـود هــذا التــأثر إلى تطــوّر الحيــاة الفكريّــة والعقليّــة في البصــرة، وتأثّــر الشــعراء بالعلمــاء والفقهــاء المسلمين .

–التّكرار في معاني الهجاء أو الفخر .

–كثـرة المعــاني الجاهليّــة في النّقــائض الأمويّــة. تميّــز النّقــائض بأنّهــا قصــائد طويلــة تســتوعب المعاني، وتكشف عن مثالب قبيلة الخصم وخِصالها، وتستقصي أحداث حياته وتنتقدها .

–غنى النّقائض بالمعاني اللّغوية، حتّى قيل: لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث اللغة .

–اخـتلاف الشّـعراء الثلاثـة في طريقـة التّعبـير، فمـنهم مـن اعتمـد الخطـاب المباشـر، أو الحـديث بلغة الجماعة الغائبين، أو بلغة الفرد.

– اعتمــاد الشّــعراء علــى السّــخرية في نقــض الخصــم، وهــذا إن دلّ فيــدلّ علــى تفــتّح ذهــن الشاعر العربيّ في استنباط الصّور وتبسيطها.

–النّقائض سجلّ تاريخيّ لكلّ شاعر من الشّعراء.

المحاضرة الحادية عشر: الغزل العذري والغزل العمري

الغزل أحد أنواع الشعر الّتي كانت معروفة بكثرة في الجاهلية، حيث إنه كان تعبيرًا عن مشاعر القائل، وكان الغرض الأساسي منه هو وصف جمال المرأة، لذا كانت بداية القصيدة عندهم هي التغني بالمحبوبة وجمالها، كما كانوا يتحدّثون عن المكان الّذي رحلت إليه حزنًا على فراقها. وظلّت مقدّمة القصائد الشعرية عبارة عن غزل فقط حتّى في عصر صدر الإسلام، إذ تضمّنته قصيدة مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الّتي كتبها كعب بن زهير في أوّل أبياتها، وكانت الكلمات الّتي تُذكر في هذا النوع من الشعر يغلب عليها العفّة والأدب والطهر ممّا تناسب مع الأفكار الإسلامية.

أنواع الغزل:

1-الغزل العذري

هذا النوع من الغزل يقوم فيه الشاعر بوصف الخصائص الجمالية المعنوية فقط لحبيبته، ويبعد تمامًا عن وصف جمال جسدها، حيث يذكر أحاسيسه تجاهها و شوقه لها بعد الفراق، وصعوبة أن يجدها ويلتقي بها. وكان هذا الاتّجاه هو السائد في العصر الأموي. وتعود سبب تسميته بالغزل العذري نسبة إلى بني عذرة، المعروفين بإخلاصهم الشديد لمن يحبّون. بالإضافة إلى أنّ أكثر الشعراء الّذين اشتهروا بهذا النوع من الغزل هو قيس بن الملوح المعروف باسم مجنون ليلى الّتي كانت ابنة عمه، وقد تربوا معًا حتّى أحبّها بشدّة، إلاّ أنّها تزوجت من شخص آخر دون رغبتها، وهو الأمر الّذي كان يفوق استيعاب قيس حتّى فقد عقله، فأطلق عليه الناس اسم مجنون ليلى، وأبياته المشهورة تلك الأبيات:

خليليَّ لا واللهِ لا أملكُ الّذي قضى اللهُ في ليلى ولا مَا قَضى لِيَا

قضَاهَا لِغيري وابتلاني بِحُبِّها فهلّا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

خَليلَيَّ إِن ضَنّــوا بِلَيلى فَقَرِّبا لِيَ النَعــشَ وَالأَكفــانَ وَاِستَغفِـرا لِيا

وإن مت من داء الصبابة فأبلغا شبيهـة ضوء الشمس مني سلاميا

الغزل الصريح

هـو نـوع مـن الغـزل يعتمـد فيـه الشـاعر علـى وصـف أوقاتـه مـع النسـاء، ومـن الأمـور الّـتي تميّـزه أن الشـاعر لا يـذكر اسـم امـرأة واحـدة فقـط، بـل يُلاحـظ الكثـير مـنهنّ كمـا يتحـدّث عـن الجـواري، بالإضــافة إلى قيامــه بوصــف جســد المــرأة بالتفصــيل بدايــة مــن بشــرتها إلى مشــيتها وحــتّى أعضـائها، ومـن أكثـر الشـعراء الّـذين اشـتهروا في ذلـك النـوع مـن الغـزل هـو عمـر بـن أبي ربيعـة. ويعـرف هــذا النــوع مــن الغــزل أيضــا بالغــزل الإباحــيّ الحســي العمــري. وقــد انتشــر في مــدن الحجــاز بالــذات في مكّــة والمدينــة المنــورة، وكــان أشــهر رواده الشــاعر "عمــر بــن أبي ربيعــة" في مكّــة المكرّمــة، و"الأحــوص" في المدينــة المنــوّرة، ومــن المعــروف أنّ الشــاعر عمــر بــن أبي ربيعــة قـد نال الزعامـة بشـكل مطلـق في هـذا النـوع مـن الغـزل، حـتّى أنّ الـبعض صـاروا يسـمون هـذا النوع من الغزل منسوباً إلى اسمه، فصار اسمه "الغزل العمري" فيما بعد.

خصائص شعر الغزل

أ-خصائص الغزل العذري

يختلف الغزل العذري عن الصريح تمامًا في المضمون، ومن خصائصه:

-عدم وصف الملامح الجسدية للحبيبة.

-صدق الشاعر في كلامه والعفّة في ذكر المحبوبة بشكل عام.

-الألفاظ المستخدمة تتميّز بالرقّة والعذوبة.

-حرارة المشاعر بسبب الحالة الّتي يعيشها الشعراء بعيدًا عن الحبيبة.

-من مميّزات هذا النوع الأسلوب المباشر، فقد كان يبدأ الشاعر بذكر المحبوبة على الفور.

-إظهار ألم الفراق وعذابه الّذي كان يعاني منه الشعراء.

-الابتعاد تمامًا عن الأوصاف الجسدية والجنسية وما يشابهها.

-لا يذكر الشاعر سوى حبيبة واحدة، ولا تزيد عن ذلك ويكون الغزل كلّه لها.

-بساطة المعاني وصفائها في توضيح الحبّ هو ما يقدّمه الغزل العذري.

ب-خصائص الغزل الصريح

-لا يذكر فيه الشاعر حبيبة واحدة، كما يحدث في الغزل العذري، وممّا يدلّ على ذلك هو الأسماء العديدة الّتي وردت في أبياتهم.

-تصوير المرأة بهيئة الجريئة الّتي ترغب في معشوقها، وليست محبوبة تحتفظ بحيائها مثلما يحدث في العذري.

-وصف جسد ومفاتن المرأة بشكل صريح وبجرأة.

-الفخر بالعلاقات العاطفية المتعدّدة والمواقف المشوّقة مع المعشوقة، وهو ما يعطي قصائدهم الطابع السطحي الّذي يخلو من العواطف.

-جعل القصيدة تظهر على شكل قصة يتمّ روايتها.

-ذكر لحظات لقاء الحبيبة بطريقة حسّية وصريحة.

المحاضرة الثانية عشر: شعر الحكمة في العصر العباسي

اشتهر شعر الحكمة عند العرب شهرة واسعة، فأغلب حكماء العرب كانوا من الشعراء الفصحاء الّذين يُشهد لهم بالشاعرية والحكمة معًا، وهذا المزيج الفكري الّذي امتلكه حكماء العرب بين الحكمة والفصاحة والشاعرية جعلَ من شعرهم حِكمًا تُتلى وتُحفظ عبر العصور. وشعر الحكمة عند العرب هو الشعر الّذي لخَّص به الشعراء تجاربهم في الحياة، فكان معظم شعراء العرب الّذين يكتبون الحكمة يكتبونها في أواخر حياتهم، ففي العصر

الجاهلي اشتهر الحكيم زهير بن أبي سلمى الّذي كانت معظم أشعاره حكمًا تُقرأ وتُتلى بين الناس، وفي الجاهلية على وجه الخصوص كانت حكمة الشعراء الجاهليين تتجسَّد من خلال ذكر أمثال الجاهليين وتجاربهم في الحياة والحكم الّتي استخلصها كلُّ شاعر من حياته الّتي عاشها. أمَّا في العصر الإسلامي فقد امتزجتْ حكمة الشعراء بالآراء الإسلامية الّتي تُعدُّ من أعظم الحكم الّتي قد يستخلصها امرؤ في حياته كلِّها، وفي العصر العباسي الّذي برزتْ فيه الحكمة بشكل واضح في شعر أبرز شعراء العصر العباسي، فكان أبو تمام والمتنبّي وأبو العلاء المعريّ أشهر وأحكم الشعراء في ذلك، فعند أبي تمام كانت الحكمة خلاصة ثقافته الّتي كسبها في حياته، ليأتي بعده المتنبي الّذي أفاد من حكمة أبي تمام ومزجها مع عبقريّته الشعرية، فأنتج من شعر الحكمة ما عجز عن إنتاجه غيره من الشعراء، أمَّا أبو العلاء المعرّي فقد تميَّزتِ الحكمة في شعره بطابع فسلفي أعمق ممّا عُرف في شعر الحكمة عند العرب قبلَه.

شعراء الحكمة في العصر العباسي

تنوّعت أغراض الشعر في العصر العباسي، وقد ظهرت أغراض جديدة بالإضافة لأغراض الشعر العربيّ التقليدية من مديح وغزل ورثاء وهجاء وحكمة، وشعر الحكمة على وجه الخصوص ازدادَ عمقًا في شعر العباسيّين، وبرز الكثير من شعراء الحكمة في العصر العباسيّ، من هؤلاء:

المتنبي :

هو أبو الطيّب أحمد بن الحُسَين الكنديّ، وُلد في الكوفة سنة 303 هجريّة، كانت أفضل فترات حياتِه إلى جانب سيف الدولة الحمداني، فقد كان مُقرّبًا من سيف الدولة، يعدّ المتنبي من أشهر شعراء العرب، فقد كان متمكنًا من اللغة العربيَّة، ويَعرف قواعدها وألفاظها ومفرداتها، كان نادرة الزمان وأعجوبةً في ذلك العصر، وما يزالُ شعر مصدر

الإلهام لكثير من الشعراء حتّى الوقت الحاضر، كتب في أغراض الشعر العربي ومنها الحكمة والمديح، وتوفّي المتنبّي عام 354 هجريّة.

أبو فراس الحمدانيّ :

هو الحارث بن حمدان بن حمدون الحمداني، كنيتُه أبو فراس، ولد في الموصل عام 320 هجريّة، عاش في كنف ابن عمه سيف الدولة الحمدانيّ، عاش في حلب ودرس الفروسيّة والأدب، أُسِرَ أبو فراس في القسطنطينية وطال أسره إلى ما يُقارب السبع سنوات، ولم يَفْتدِه ابن عمّه سيف الدولة، فحزن حزنًا شديدًا، ولكنّه صبر حتّى تمّ فداؤه، توفّي عام 357 هجريّة، تاركًا وراءه أشعارًا عظيمة، وهو من شعراء الحكمة في العصر العباسي .

أبو تمام :

هو حبيب بن أوس الطائيّ، الذي يُعرف باسم أبي تمّام، من الشعراء العباسيين، شاعر ذو شعر قوي وجَزِل الألفاظ، كتب في أغراض الشعر مثل الفخر والحماسة والحكمة، وقد ولد في سوريا وتوفّي في الموصل، وقد أحبَّه أهل الموصل كثيرًا، ترك إرثًا شعريًّا عظيمًا لا يُستهانُ به، وما تزالُ أشعاره محبوبةً ومعروفة .

أبو العلاء المعري

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعريّ، هو من شعراء وفلاسفة وحكماء العصر العباسيّ، عالم باللغة والادب، وُلد في معرّة النعمان عام 363 هجريّة، وتوفّي المعرّة أيضًا عام 449 هجريّة، كان له آراء وفلسفة خاصّة في الدين حتّى اتُهِم بالزندقة، وقد كان ذكيًا حافظًا متوقّدَ الخاطر، وله دواوين شعر كثيرة .

ابن الرومي:

هو عليّ ابن العباس ابن جريج، واشتُهر بابن الرومي، وُلد في بغداد وهو من شعراء الحكمة في العصر العباسي، ولد في بغداد وكانت أمُّه من أصل فارسيّ، كتب في معظم

أغـراض الشـعر العـربي مـن فخـر وهجـاء وحماسـة وحكمـة وغـزل ووصـف، وكـان شـعره صـادقًا معبّرًا عن مكنونات نفسه، توفّي مسمومًا في بغداد .

أبيات في الحكمة من الشعر العباسي

كتـبَ شـعراء الحكمـة في العصـر العباسـي أبيـاتًا كثـيرة في الحكمـة، متـأثّرين بالحـال في ذلـك العصـر عمومًـا، وبأحـداث حصـلت معهـم في حيـاتهم عكسـت حكمتهـا علـى أشـعارهم، وقـد وضعوا فيها خلاصة تجاربهم في الحياة.

يقول المتنبي :

إِذا أَنــتَ أَكرَمــتَ الكَــريمَ مَلَــكتَــهُ وَإِن أَنــتَ أَكــرَمــتَ اللَئيــمَ تَمَــرَّدا

وَوَضــعُ النَــدى في مَوضِــعِ السَــيفِ بِالعُــلا مُضِــرٌّ كَوَضــعِ السَــيفِ في مَوضِــعِ النَدى

وَلَكِــن تَــفوقُ الناسَ رَأياً وَحِكمَــةً كَــما فُقتَــهُم حــالاً وَنَفساً وَمَحتِــدا

يَــدِقُّ عَلى الأَفكــارِ ما أَنتَ فاعِــلٌ فَــيُترَكُ مــا يَخــفى وَيُــؤخَــذُ ما بَدا

ويقول أبو العلاء المعري :

لا تَفــرَحَنَّ بِفَــألٍ إِن سَمِعتَ بِــهِ وَلا تَــطَيَّــر إِذا مــا نــاعِبٌ نَعَبــا

فَالخَــطبُ أَفظَــعُ مِن سَرّاءَ تَأمُلُها ◌َالأَمرُ أَيسَرُ مِن أَن تُضمِرَ الرُعُبــا

إِذا تَفَــكَّرتَ فِــكــراً لا يُمــازِجُــهُ فَسادُ عَقلٍ صَحيحٍ هانَ ما صَعُبا

فَاللُبُّ إِن صَحَّ أَعطى النَفسَ فَترَتَها حَتــّى تَمــوتَ وَسَمّــى جِدَّها لَعِبا

ويقول ابن الرومي :

عدوُّكَ من صديقك مستفـادٌ فلا تستكثرنَّ من الصِّحابَ

فـإن الداءَ أكثـرَ مـا تـراهُ يحولُ من الطعام أو الشرابِ

إذا انقلبَ الصديقُ غدا عدواً مُبـيناً والأمورُ إلى انقـلابِ

ولو كان الكثيرُ يَطيبُ كانتْ مُصاحبةُ الكثير من الصوابِ

يقول أبو فراس الحمدانيّ :

اِحذَر مُقـارَبَةَ اللِئـامِ فَإِنَّـهُ يُنبيكَ عَنهُم في الأُمورِ مُجَرِّبُ

قَومٌ إِذا أَيسَرتَ كانوا إِخوَةً وَإِذا تَرِبـتَ تَفَـرَّقوا وَتَجَنَّبـوا

اِصبِر عَلى ريبِ الزَمانِ فَإِنَّهُ بِالصَبرِ تُدرِكُ كُلَّ ما تَتَطَلَّبُ

المحاضرة الثالثة عشر: الموشّحات والأزجال الأندلسية

لم تكـن الموسـيقى العربيـة الّـتي انتقلـت مـن الأنـدلس إلى المغـرب مجـرّد أشـعار تلحـن كيفمـا اتّفـق، بـل تـدخّلت القواعـد العلميـة في توجيـه هـذا الفـن الّـذي قـدّر لـه أن يكتسـح الشـمال الإفريقـي والعـربي كلّـه. والمشـهور أن زرياب المغـني أوّل مـن وضـع الأصـول الأولى لمـا نسـميه الآن بالموسـيقى الأندلسـية، وقـد نقـل إليهـا الموسـيقى العربيـة الّـتي كانـت قـد لحقـت في الشـرق بمـؤثرات إغريقيـة وفارسـية. بيـد أن هـذه الموسـيقى دخلهـا تغيـير متـوال علـى يـد الأندلسـيين أنفسـهم سـواء في اللحـن أو في الشـعر. ومـن المؤكّـد أنّهـا مـرّت بأطـوار مختلفـة حـتّى انتهـت أخـيراً إلى الاسـتقرار في أواخـر العهـد المـريني. وإن مـا طبـع الموسـيقى الأندلسـية بطابعهـا البارز، هو الموشّحات الّتي لم تكن معروفة لدى العرب من قبل.

الموشحات

الموشح منظومة شعرية مؤلّفة من أربعة عشر بيتا على الأكثر على وزن إيقاعي غنائي معيّن، وقد يزيد أو ينقص عن ذلك.

والموشّح هو وزن من أوزان الشعر العربي المألوفة في الشعر العربي إلاّ أنّ أواخره موشّحة إمّا بجمل متوازنة متّحدة القوافي يؤتى بها في آخر كلّ مقطع من مقاطع الموشّح العديدة، أو موشّح بقواف ثنائية أو ثلاثية أو رباعية.

ظهر الموشّح كفنّ قائم في بلاد الأندلس لأوّل مرّة، أي أنّ الموشّح قصيدة كانت موجودة في الشعر العربي وتطوّرت وفق تطوّر الحياة العربية في الأندلس وما أملته هذه الحياة في تلك البلاد من إيجاد نوع من الشعر احتاجته النفس العربية هناك ليتفاعل معها في الغناء والنفس الطرية التوّاقة إلى كلّ جميل وجديد.

أوّل من ابتدع الموشّح في شكله الجديد في العربية، الشاعر الأندلسي –مقدم الغريري – وقد أكثر الشعراء بعد ذلك من نظمه والتغني به وإنشاده كثيرا في دواوين وبلاطات الأمراء الأندلسيين وذلك لحاجة هؤلاء إلى الغناء والطرب وبأساليب جديدة واضحة المعاني جليّة الصورة سهلة الأسلوب تشنّف الآذان وتطرب السامع بألحانها الجميلة وكلماتها الفيّاضة الداخلة إلى القلب مباشرة فتسرّ القلوب وتبهج النفوس.

ومن المعلوم أنّ العصر الطائفي عرف ازدهارا ملموسا في نظم الموشّحات وشيوع الموسيقى، ومن أبرز وشاحي ذلك العهد أحمد بن علي المعروف بأعمى طليطلة، ثمّ أبو بكر الأبيض وأبو بكر بن باجة، وابن بقي يحيى بن عبد الرحمن، ثم أبو بكر بن قزمان الّذي اشتهر بالإبداع في فن الزجل بعد أن سبقه آخرون لا نعرفهم.

أجزاء الموشح ومصطلحاته:

الموشّح يتكوّن من أجزاء معيّنة، اصطلح عليها الوشّاحون، والتزموها في صنع الموشّحات. وهذه الأجزاء هي:

المطلع – الدّور – السّمط – القفل – البيت – الغصن – الخرجة.

والموشّحات مثل قول الشّاعر:

النّهر سلّ حساما * على قدود الغصون**

وللنّسيم مجال

والرّوض فيه اختيال

مدّت عليه ظلال

والزّهر شقّ قماما * وجدا بتلك اللحون**

أما ترى الطّير صاحا

والصّبح في الأفق لاحا

والزّهر في الرّوض فاحا

والبرق ساق الغماما * تبكي بدمع هتون**

ومن هذه القصيدة نفهم أنّ:

المطلع هو: عادةً يتكوّن من شطرين أو أربعة أشطر وهو في الموشّح السّابق يتكوّن من غصنين هما:

النّهر سلّ حساما * على قدود الغصون**

وقد تختلف قافية الغصنين كما هو الحال في المثال السّابق وقد تتّفق كما في المثال التّالي:

فتق المسك بكافور الصّباح

ووشت بالرّوض أعراف الرّياح

علماً أنّ المطلع ليس ضرورياً في الموشّح فقد تستهلّ بالدّور مُباشرة، وفي هذه الحال يُطلق على الموشّح صفة الموشّح الأقرع.

الدّور: هو مجموعة من الأبيات الّتي تلي المطلع ويتكوّم من مجموعة من الأقسمة لا تقلّ عن ثلاثة وقَابِلَة للزّيادة بشرط أن تتكرّر بنفس العدد في بقيّة الموشّح وأن تكون من وزن المطلع، ولكن بقافية مختلفة عن قافيته وتلتزم في أشطر الدّور الواحد. والدّور في الموشّح موضع التّمثيل وهو:

وللنّسيم مجال

والرّوض فيه اختيال

مدّت عليه ظلال

السّمط هو: كلّ شطر من أشطر الدّور.

القفل: هو ما يلي الدّور مباشرةً ويُسمّى المركز وهو شبيه بالمطلع في القوافي وعدد الأغصان كما أنّ الموشّحة ليست مشروطة بعدد ثابت من الأقفال، وإن كانت العادة قد جرت على أن يكون للمُوشّح خمسة أقفال والقفل في مُوشّحنا السّابق هو:

والزّهر شقّ قماما * وجدا بتلك اللّحون**

البيت: وهو في الموشّحة يتكوّن من الدّور مضافاً إليه القفل كالتّالي:

وللنّسيم مجال

والرّوض فيه اختيال

مدّت عليه ظلال

والزّهر شقّ قماما * وجدا بتلك اللّحون**

الغصن: هو كلّ شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجة وتتساوى الأغصان عدداً وترتيباً وقافية في كلّ الموشّحة ويمكن أن تتكوّن أقفال من أربعة أغصان مثل موشّحة لسان الدّين الخطيب:

جادك الغيث إذا الغيث هما

يا زمان الوصل في الأندلس

لم يكن وصلك إلّا حُلماً

في الكرى أو خِلْسَة المُخْتَلِسِ

الخرجة: آخر قفل في الموشح، وهي تماثل المطلع والأقفال في الوزن والقافية وعدد الأجزاء.

الأزجال

الزجل هو الصوت المردّد أو المتّسق بالاطراد والاستقامة وقد ظهر لأوّل مرّة في الشعر العربي في بلاد الأندلس أيضا وأوّل من أنشد وتغنّى به الشاعر العربي الأندلسي أبو بكر بن قزمان في القرن الخامس الهجري. ثمّ انتشر بعد ذلك بين شعراء الأندلس وانتقل وشاع في البلاد العربية الأخرى وبالأخص في لبنان وما حوله لتقارب البيئة الأندلسية من البيئة اللبنانية جمالا ورقّة ولتشابه الأجواء الطبيعية بينهما.

والزجل نوع من الإنشاد العربي القريب إلى اللهجة العامية أو هو شعر سهل الألفاظ يحسبه السامع أنّه من اللهجة العامية لسهولته وتطويعه القريب في الغناء، وقد جاء على أوزان مختلفة وربّما تكون غير مضبوطة الوزن الشعري، يضبطها اللحن والتناسق الموسيقي المتجاوب معه أي يفضل فيها التناسق الموسيقي أو الأنغام الموسيقية على الوزن في حالة التفاضل بينهما ولو أنّهما الواحد يكمل الآخر بحيث يعدها السامع متناسقة مألوفة وقد

قربت الى اللهجات العامية منها إلى الفصحى في أغلب الأقطار العربية فيما بعد تبعا لطبيعة البلد وحاجته إلى الغناء.

المحاضرة الرابعة عشر: الشعر الجزائري القديم(بكر بن حماد التاهرتي)

كانت تيهرت قاعدة للدولة الرستمية وعاصمة للعلم والفكر والثقافة ومركزا حيويا للاقتصاد والتجارة والعمران، وموطنا مهما للفلاحة...ولعلّ أهمّ ما كان يميّز مدينة تيهرت عن غيرها من عواصم بلدان المغرب الإسلامي، هو اهتمام شعبها بالفكر و الثقافة والعلوم. و قد أنجبت هذه الرقعة الجغرافية الرستمية عددا كبيرا من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء...وقد اتّخدت الدولة الرستمية اللغة العربية لغة رسمية لاتّفاق الجزائريين عليها على أساس أنّها الأداة المعرفية الّتي تمكّنهم من الإلمام بالشريعة الإسلامية.

ظلّ الناس يتبادلون الرحلة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى للمشرق للسماع من أكابر العلماء ومجالستهم...ولعلّ أهمّ رحلة قام بها مثقّف جزائري هي رحلة بكر بن حمّاد الزناتي، وكان أوّل شخصية فكرية جزائرية –ميلادا و نشأة و نسبا–تبوّأت شهرة في المشرق و المغرب و الأندلس.

و يعدّ بكر بن حمّاد من الشعراء المغاربة البارزين الّذين نظموا الشِّعر العربي رغم حداثتهم باللُّغة العربيَّة حتّى عدّ حجّة أدباء عصره، فهو من الَّذين أسّسوا مدرسة شعريَّة زهديّة في المغرب تضاهي المدرسة المشرقيّة في بغداد.

حياته

هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن اسماعيل الزناتي أصلا و التاهرتي نشأة، من شعراء الطبقة الأولى في عصره، وهو إلى ذلك فقيه عالم بالحديث ورجاله.

ولـد بتـاهرت سـنة 200هـ ، التحـق سـنة 217هـ بالقـيروان الّـتي كانـت مركـزاً علميـاً مرموقـاً آنـذاك، وأقـام فيهـا يقـرأ الفقـه والحـديث والعلـوم الأخـرى في مسـاجدها، علـى أيـدي مشـاهير علمائهـا، ثمّ انتقـل منهـا إلى مصـر فالبصـرة بالعـراق ، اتّصـل بفحـول الشـعراء كشـاعر الهجـاء دعبـل الخزاعـي والشـاعر الأديـب علـي بـن الجهـم و حبيـب بـن أوس الطـائي المعـروف بأبي تمـام وصـريع الغـواني مسـلم بـن الوليـد وغـيرهم ففاوضـهم و أخـذ عـنهم وهـو مـا كـان لـه تأثـير كبـير على تفتيق موهبته الشعرية وصقل ذوقه الأدبي.

عـاد بكـر بـن حمـاد إلى المغـرب العـربي فاسـتقر بمدينـة القـيروان، إلى غايـة 274هـ أيـن تصـدر لإمـلاء الأدب والعلـم، وعقـد مجـالس الروايـة و السـماع، يشـرح فيهـا الحـديث الشـريف بطريقـة بارعـة بجامعهـا الكبـير، فارتحـل إليـه الكثـير مـن أهـل إفريقيـا والأنـدلس. غـير أن المقـام بمدينـة القـيروان لم يـدم طـويلا فلـم يصـفو العـيش لشـاعرنا بهـا، إذ وشـى بـه بعـض منافسـيه لـدى الأمـير إبـراهيم بـن أحمـد بـن الأغلـب لشـعر قالـه فيـه، فخـاف بكـر وخـرج فـاراً مـن القـيروان إلى مسـقط رأسـه تاهـرت بصـحبة ابنـه عبـد الـرحمن سـنة 295 هجـري وعنـدما وصـلا إلى قلعـة بـن حمـة علـى مشـارف تاهـرت تعـرض لهمـا اللصـوص، فقتلـوا ابنـه عبـد الـرحمن وجـرح بكـر بـن حمـاد جراحـات بليغـة حيـث كانـت لهاتـه الحادثـة بالـغ الأثـر في نفسـية بكـر إلى أن تـوفي شـهر شـوّال 296هـ وقـد تـرك وراءه مجموعـة كبـيرة مـن الأشـعار الرائعـة في كافـة الفنـون الشـعرية في الزهـد والهجـاء والـرثاء والوصـف و غيرهـا جمعـت لاحقـا في ديـوان شـعري كبـير سمـي بـ"الـدر الوقـاد في شعر بكر بن حماد التاهرتي"

1–الوصف:

ما أخشَنَ البردَ وريعانــهُ وأطرفَ الشمسَ بتاهرت

تَبدو من الغيم إذا ما بَدَت كأنّها تنشر من تخــت

فنحن في بحر بلا لجـــة تجري بنا الريح على سمت

نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمي بالسبت

يصف الشاعر شدّة البرد وكثرة الغيوم والثلج في تيهرت، ويصوّر مناخ المنطقة فيعكس ذوقه وميله إلى إشراقة، ورغبته عن البرد والغيوم وقد عبّر عن المشهد بأسلوب مباشر ولغة سطحية فاتّسم تصويره بالضعف و الركاكة في التأليف.

ملاحظة: الشاعر على الرغم من براعته الشعرية وطول باعه في وصف الحروب والمعارك لم يوفّق في هذه المقطعة.

2-الزهد:

لقد جمحت نفسي فصدّت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقها

فيا أسفي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لايزال يسوقها

إلى مشهد لابدّ لي من شهوده ومن جزع للموت سوف أذوقها

ستأكلها الديدان في باطن الثرى ويذهب عنها طيبها وخلوقها

مواطن للقصاص فيها مظالم تؤدي إلى أهل الحقوق حقوقها

للشاعر شعر كثير في الزهديات، وهي أشعار تعكس تجربته الزهدية و تبحث في النفس الإنسانية بعمق وتسعى لتطهيرها من حبّ الدنيا وزينتها. فالشاعر يطرح في أكمل صوره الفنّية كوامن النفس من حبّ و جمال وقيم أخلاقية.

3-المدح:

سائل زواغة عن فعال سيوفه ورماحه في العارض المتهلل

وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ بالوشيج الذبل

وغشى مغيلة بالسيوف مذلة وسقى جراوة من نقيع الحنظل

الشاعر يمدح أبا العيش عيسى بن ادريس صاحب جراوة و تلمسان.

4-الرثاء:

بكيت على الأحبـة إذ تولّـوا ولـو أنيّ هلكت بكـوا عليَّـا

فيـا نسلي بقاؤك كان ذخـرا وفقدك قد كوى الأكباد كيّا

كفـى حـزنا بأنّني منك خلو وأنّـك ميـت وبقيـت حيًّا

دعوتـك يـا بنيَّ فلم تجبـني فكـانت دعـوتي يأسًا عليًّا

ولم أكُ آيسًـا فيئـست لمَّـا رميت الترب فوقك من يديَّا

فليت الخلق إذ خلقوا أطالوا وليتـك لم تـكُ يا بكر شيًّـا

تسـرُّ بأشهـرٍ تمـر سـراعًا وتطـوي في ليـاليهـن طيًّا

فلا تفـرح بدنيا ليـس تبقى ولا تـأسف عليـها يا بنيَّـا

فقد قطع البقاء غروب شمس ومطـلعهـا عليَّ يـا أخيَّـا

وليـس الهـم يجـلـوه نهـار تدور له الفراقـد والثريَّـا

الـرثاء هـو أشـهر الأغـراض الّـتي عـرف بهـا بكـر بـن حمـاد، وقـد بلغـت شـاعريته الحزينـة ذروتهـا في مرثيته الّتي رثى فيها ابنه عبد الرحمن بعد مقتله أمام عينيه.

خصائص شعره:

-تتلمذ بكر على يد المشارقة و تأثّر بهم، فجاء شعره كشعرهم في الشكل و المضمون.

-نظـم في أغـراض كثـيرة كالوصـف والزهـد والهجـاء والمـدح...أمّـا الغـزل فكـان قلـيلا جـدّا بالنظر لطبيعة نشأته الدينية.

-عزوفه عن المقدّمة الطللية إلى بدايات أخرى كوصف الطبيعة.

-لم يبتكر ألوانا مغربية مستحدثة، بل نسج قصائد على طريقة القصائد القديمة من حيث الشكل والمضمون.

-الأفكار و المعاني امتازت بالدقّة و الاتقان والبعد في الخيال و المبالغة في الإحساس.

الجزء الثاني: السداسي الثاني

النثر العربي القديم

المحاضرة الأولى: النثر الجاهلي.

الأدب الجاهلي هو أدب الفترة الّتي سبقت ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف قرن، وليس معنى ذلك أنّ تلك الفترة هي كلّ العصر الجاهلي، فالواقع أنّ العصر الجاهلي أطول من ذلك كثيرا، لكنّ الأدب الّذي وصل إلينا عاش أصحابه قبل الإسلام بقرن ونصف قرن وضاع أدب سابقيهم، لأنّ العصر الجاهلي لم يكن عصر تدوين، فقد كان الاعتماد على الحفظ والرواية جيلا بعد جيل.

لم يوصف عصر ما قبل الإسلام بالجاهلية لجهل معاصريه، فقد عُرف عن العرب قبل الإسلام إلمامهم بشيء من علم الفلك، كما عرف عنهم إجادتهم لفنّ اقتفاء الأثر، هذا فضلا عمّا وصلوا إليه ممّا يقارب الكمال في فنون القول، لذا تحدّاهم القرآن أن يأتوا بسورة مثله.

فقد وُصف العصر بالجاهلي من وجهة النظر الإسلامية بسبب الجهل الّذي كان سائدا آنذاك من الناحية الدّينية. كما يقصد بالجهل أحيانا البطش. يقول عمرو بن كلثوم:

أَلاَ لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينا.

كان للجاهليين نثر يتكلّمون به في شؤونهم و تصريف أمورهم، زكان لهم تثر فنّي(نثر منمّق اللفظ) الّذي صيغ في قالب أدبي يثير المشاعر و يحرّك العواطف، وكان هذا الضرب من نثرهم أقلّ شأنا من شعرهم، وذلك لأسباب عدّة منها:

1-سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي.

2-الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.

3-اعتماد العرب على الحفظ والرواية.

ومع ذلك وصل إلينا من النثر قدر يكفي لاستنباط خصائصه الفنّية.

أنواع النثر

1-قصص تُروى في أخبار العرب وأيّامهم ومفاخرتهم، وقد ورد منها الكثير في الأغاني، ولكن يبدو أنّ هذا النوع كثيرا ما تكون ألفاظه ألفاظ الراوي احتفظ بالمعنى ورواه من لفظه.

2-مواعظ دينية. لكن أكثر المأثور من النثر الجاهلي هو الخطب والوصايا والأمثال والحكم وسجع الكهّان.

فنون النثر الجاهلي وخصائصه

1-الخطابة:

للخطابة صلة وثيقة بالشعر لاعتمادها على الخيال الّذي يثير العاطفة ويهيّج المشاعر، وأكثر ما تنمو الخطابة حيث الحريّة والاستقلال وحيث الحاجة إليها شديدة في النضال السياسي والقومي. وهذه شروط كانت متوافرة في الجاهلية، فهم أحرار جاوزوا الحدّ في الحرية، والنزاع القبلي بيتهم شديد. وهم أهل ألسن وفصاحة، فلا غرو أن ترقى فيهم الخطابة ويعلو بينهم قدر الخطباء وتزهى القبيلة بخطبائها كما تزهو بشعرائها. وأكثر ما روي لنا من الخطب الجاهلية يدور حول أحد الأمرين:

أ-المنافرة: وهو أن يفخر رجل على رجل على رجل أو قبيلة على قبيلة، فيتنافرا إلى حكم يحكم بينهم، وقبل الحكم يقوم كلّ خطيب يعدّد مفاخره ومفاخر قومه، فكان ذلك مجالا صالحا للخطيب يستعرض فيه بلاغته وفصاحته.

ب-الوفود: فقد كان شائعا عند العرب وفودهم على الملوك والأمراء في حاجاتهم، كالّذي رُوي من إيفاد الوفود لملوك الحيرة، إذ كانوا مقصد العرب، وبيدهم إدارة الشؤون السياسية بين القبائل حولهم من إشعال نيران الحرب أو الدّعوة إلى السلم أو نحو ذلك...وكانوا أغنياء تطمع القبائل و الأفراد في أموالهم، فكثرت الوفود عليهم وكثرت خطب الوفود بين أيديهم.

وكـانوا إذا خطبـوا وقفـوا وفي أيـديهم العصـا في السـلم والقـوس في الحـرب، وقـد يخطبـون علـى رواحلهم.

وعلـى الجملـة مـا رُوي مـن خطـبهم يمتـاز بقوّتـه: معـاني غزيـرة في ألفـاظ قليلـة ومحكمـة وُضـع بعضها بجانب بعض في قليل من الروابط والصّلات.

خصائص الخطابة:

أ-للخطبة أجزاء ثلاثة هي (المقدمة – والموضوع – والخاتمة).

ب-تهدف الخطبة إلى الإفهام والإقناع والإمتاع والاستمالة.

ج-لأسلوب الخطابة خصائص إذ لا بدّ أن يتوفّر على:

*وضوح الفكرة.

*جودة العبارة وسلامة ألفاظها.

*الإكثار من السجع غير المتكلّف.

*التنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي.

2-الوصايا:

الوصية قول حكيم صادر عن مجرّب يوجّهه إلى من يحبّ لينتفع به .

و تنقسم الوصيّة إلى:

أ-المقدمة: وفيها تمهيد وتهيئة لقبولها.

ب-الموضوع: وفيه عرض للأفكار في وضوح وإقناع هادئ.

ج-الخاتمة: وفيها إجمال موجز لهدف الوصية.

يمتاز أسلوب الوصية بـــ:

أ-وضوح الألفاظ.

ب-قصر الجمل .

ج-الإطناب بالتكرار والترادف والتعليل.

د-تنوّع الأسلوب بين الخبر والإنشاء.

هـ-الإقناع بترتيب الأفكار وتفصيلها وبيان أسبابها.

و-الإيقاع الموسيقي الجميل.

وتختلف الوصية عن الخطبة في أمر واحد وهو أن الخطبة هي فنّ مخاطبة الجماهير لاستمالتهم وإقناعهم.أمّا الوصية فهي قول حكيم لإنسان مجرّب يوصي به من يحب لينتفع به في حياته.

نموذج عن الوصية:

يقول ذو الأصبع العدواني يوصي ابنه أسيدًا وقد حضرته الموت "يا بنيّ إنّ أباك قد فني وهو حيّ، وعاش حتّى سئم العيش، وإنّي موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عنّي: ألن جانبك لقومك يحبّوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوّدوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم، ويكبر على مودّتك صغارهم، واسمح بمالك، وارحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فإنّ لك أجلًا لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئًا، فبذلك يتمّ سؤددك".

شرح الوصية

أوصى ذو الإصبع العدواني ابنه بطائفة من الصفات الحميدة، لأنّه يرجو له الخير والفلاح في مستقبله بين قومه و عشيرته، وهذه الفضائل لو عمل بها أي إنسان فإنه يبلغ بها أرفع المنازل وأعلاها بين من يتّصل بهم ويعيش بينهم. وتتلخّص هذه الصفات في:

-التواضع ولين الجانب، فمتى ما كان الإنسان رفيقا لين الجانب أحبّه قومه وأصحابه ومتى ما تواضع لهم رفعوه وقدّروه، ولكن بشرط أن يكون تواضعا في غير مسكنة أو مذلّة .

-بشاشة الوجه وسعة الصدر، فصاحب الوجه المبتسم الضحوك يرتاح له الناس بعكس صاحب الوجه المتكدر العبوس .

-متى ما آثرتهم على نفسك ولم تختَصَّ بشيء لنَفْسك عليهم، فإنّهم سيعظّمونك ويمجدونك ويجعلونك سيّدهم.

-متى ما أكرمت صغارهم يكبرون على مودّتك ومحبّتك واحترامهم لك، ومتى ما أكرمت كبارهم فإنّهم يكرمونك ويحترمونك.

-كن كريما جوادا تعطي مالك بطيب نفس، والسماحة هي بذل ما لا يجب تفضّلا، فمن كانت هذه صفاته فحريّ به أن يكون سيّد قومه مطاعا محبوبا.

-صن ودافع عن كلّ ما لا يحلّ انتهاكُه من عهد أو أمان أو كفالة أو حقّ أو مَكَان يَحْرُمُ انْتِهَاكُهُ كالبيت وغيره، واعزز جارك أي: أعضده وانصره واشدد عزمه، وحافظ على كرامته وحرمته كما تحافظ على حرمتك.

-أعن من طلب منك الإعانة والمساعدة ولا تبخل بنفسك عليه، وكن كريما لضيفك.

-كن سريعا في وثبتك لمن يستغيثك ويطلب منك النجدة، ولا تتباطأ في ذلك وتتخاذل فإنّ لك أجلا ووقتا تموت فيه.

-صن واحم وجهك عن ذلّ المسألة، فلا تسأل أحدا شيئا، فبتلك الصفات تنال سؤددك أي تسيّدك لقوم.

3-الأمثال

أصدق ما يتحدّث عن أخلاق الأمّة وتفكيرها وتقاليدها وعاداتها ويصوّر المجتمع وحياته وشعوره.

كانت الحادثة تقع ويدور فيها القول، وتأتي من بين الكلمات عبارة قويّة مركزة في تلخيص الموقف أو استخلاص العبرة منه، فيكون وقعها قويّا على السامع وتتلقّفها الألسنة فتذيع وتنتشر وتصبح مثلا يلق في كلّ موقف يشبه الموقف الّذي سيقت فيه العبارة. وهذا يسمي (مورد المثل).

يضرب المثل في موقف يشبه الحالة الّتي ورد فيها مع المحافظة على لفظ المثل وضبطه وهذا يسمي (مضرب المثل) .

-يرجع سرّ انتشار المثل وذيوعه في الجاهلية إلى:

أ-البيئة: بيئة فطرية تغلب فيها الأمّية وتشتدّ الحاجة إلى التجارب المستخلصة في أقوال لها معني صادق.

ج-تصاغ الأمثال غالبا في عبارة حسنة، يظهر فيها دقة التشبيه بين المورد والمضرب، وذلك ما يرضي ذوق العربي.

د-المثل صوت الشعب، فهو مرآة تعكس صورة الحياة الجاهلية.

الخصائص الفنية للأمثال

أ-ايجاز اللفظ .

ب-قوّة العبارة.

ج دقّة التشبيه .

د-سلامة الفكرة.

نماذج لأمثال العرب في الجاهلية

-جزاء سنمار: يضرب لمن يحسن في عمله فيكافأ بالإساءة إليه.

-رجع بخفي حنين: يضرب هذا المثل في الرجوع بالخيبة والفشل.

-إنّك لا تجني من الشوك العنب. يضرب لمن يرجو المعروف في غير أهله.

4-الحكم

الحكمة قول موجز مشهور صائب الفكرة رائع التعبير، يتضمّن معنى مسلّما به يهدف إلى الخير والصواب وتعبّر عن خلاصة خبرات وتجارب صاحبها في الحياة.

تتفّق الحكمة مع المثل في الايجاز والصدق وقوّة التعبير وسلامة الفكرة.

وتختلف الحكمة عن المثل في أمرين: لا ترتبط بحادثة أو قصّة. ثمّ إنّها تصدر غالبا عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها وتجاربها وثقافته

الخصائص الفنية لأسلوب الحكمة

أ-روعة التعبير

ب-قوّة اللفظ

ج-دقّة التشبيه

د-سلامة الفكرة مع الايجاز

هـ-الحكمة صوت العقل: لأنّ الحكمة قول موجز يقوم على فكرة سديدة وتكون بعد تأمّل وموازنة بين الامور واستخلاص العبرة منها ولذلك فهي تعبّر عن الرأي والعقل.

نماذج من الحكمة

مصارع الرجال تحت بروق الطمع: فيها دعوة إلى القناعة وأنّ الطمع يقتل صاحبه.

ربّ ملوم لا ذنب له: دعوة إلى التحقّق من الأمر قبل توجيه اللوم للبريء.

أدب المرء خير من ذهبه: معناها أنّ قيمة الانسان بأدبه لا بماله.

من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء: معناها من استعان بقوم غير صالحين لم يفلح في عمله ويكون مثله كمثل من يقف الماء في حلقه، فلا يجد سبيلا إلى إزالة غصته. هي دعوة إلى حسن اختيار الأعوان.

من شدّد نفّر ومن تراخي تألّف: تدعو إلى اللين في المعاملة، وحسن معاملة الناس. فالناس تنفر من الشديد القاسي وتميل إلى الليّن الرحيم.

5-سجع الكهان

هو فن من فنون النثر يعتمد مجموعة من الجمل المترادفة والمتوازنة والمتزاوجة يستخدمها الكاهن الّذي يدّعي معرفة الغيب في قضية من قضايا المجتمع. فقد كان الكهّان يستعملون السجع المتكلّف الغامض وفي جمل قصيرة وغير واضحة المعنى لكي تتحيّر الأذهان في فهم المقصود منها.

خصائصه:

هو في جملته كلام عام، يضع السّامع في الغموض والإبهام باصطناع السجع والإيماء وقصر الجمل ليجعله في حالة نفسية مضطربة تساعد الكاهن على الوصول إلى ما يريد بكلّ سهولة ويسر. إذ يكون المخاطَب بتلك الإشارات الغامضة و الألفاظ المبهمة و الأسجاع المنمّقة مستعدّا لقبول ما يقال له بلا جدال أو اعتراض، وتأويل ما يسمعه بحسب حالته ومدى فهمه.

نماذج عن سجع الكهّان:

يقول سلمة بن أبي حية المكنّى عزّى سلمة (وصفه الجاحظ بأسجع الكهّان)

"والأرض والسماء، والعقاب والصقعاء واقعة ببقعاء لقد نفر المجدُ بني العشراء للمجد والسناء".

-الصقعاء: الشمس.

-بقعاء: الموضع أو الأرض ذات الحصى الصغير.

-نفر: حكم بالغلبة.

-بني العشراء: عشيرة من فزارة.

-السناء: الرفعة.

وقالت إحدى الكاهنات تحذّر قومها من غارة قادمة عليها" واللّوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق، إنّ شجر الوادي ليأدو ختلا، ويحرق أنيابا عصلا، وإنّ صخر الطّود لينذر ثكلا، لا تجدون عنها معلى".

-المزن: سَحابٌ يُمطر أو يمكن أن يؤدِّي إلى سقوط مطر.

-الوادق:النازل.

-يأدو: ينضح.

-ختلا: من يخدع عن غفلة.

-عصلا: معوجّ.

-الطود: الجبل العظيم.

-معلى: السهم الفائز.

المحاضرة الثانية: خطبة قسّ بن ساعدة الإيّادي

كان قسّ بن ساعدة الإيّادى من حكماء العرب قبل الإسلام، وقد تُوفي حوالى عام 600م، كان زاهِداً في الدنيا، وكان يَحضُرُ سوقَ عُكاظ ويَسيرُ بَين الناس ويُنذِرهُم، ولقد ضُرِبَ بِه المثِلُ في الخطابة والبلاغة والحكمة.

ومما يُذكر عنه أنّه أوّل مَن خطب متّكئاً على عصا، وأوّل مَن قال: "أمّا بعد"، وأوّل مَن كتب: "من فلان إلى فلان"، وأوّل مَن قال: " البيّنة على مَن ادَّعَى واليمينُ على مَن أنكر".

وممّا ذُكر عنه أنّه كان يُنكِر المنكر الّذى شاع في الجاهلية والغفلات الّتي كانت تسيطر على الناس فتُنسيهم الموت والبعثَ والجزاء، وكان الرسول-صلى الله عليه وسلم- قد أدركه قبل مهبط الوحى بعشر سنين، وقال فيه: "يرحم الله قساً، إنّي لأرجو يوم القيامة أن يُبعث أمّة وحدة".

خطبة قسّ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اسْمَعُوا وَعُوا، مَنْ عَاشَ مَات، وَمَنْ مَاتَ فَات، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آت.. مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمّهات وأحياء وأموات جمع وأشتات، لَيْلٌ دَاج، وَنَهَارٌ سَاْج، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أبْرَاجٍ، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ومهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تَمور، وبحار لا تغور، وَنُجُومٌ تَزْهَر، وَبِحَارٌ تَزْخَر... إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبَراً، وإِنَّ فِي الأرضِ لَعِبَراً، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهبُونَ وَلاَ يَرْجِعُون؟! أرَضُوا فَأَقَامُوا، أمْ تُرِكُوا فَنَامُوا؟ تباًّ لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية.يا مَعْشَرَ إيَاد: أيْنَ الآبَاءُ والأجْدَادُ؟، وأيْنَ الفَرَاعِنَةُ الشِّدَادُ؟، أَلَمْ يَكُوْنُوا أكْثَرَ مِنْكُم مَالاً وأطولَ آجالاً؟ طَحَنَهُم الدهْرُ بِكَلْكَلِهِ، ومزَّقَهم

بتطاوُلِـه... يقسـم (قـس) بالله قَسَـماً لا إثم فيـه إن لله دينـاً هـو أرضَـى لكـم وأفضـل مـن ديـنكم الّذى أنتم عليه، إنّكم لتأتون من الأمر منكراً.

في الذاهبينَ الأولـينَ مِــن القرونِ لنــا بَصائـر

لمّــا رأيــت مـواردا للمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِر

ورأيتُ قومي نَحــوها يَمضى الأكابر والأصاغِرُ

لا يَرجعُ الماضي ولا يبـقى مِن البـاقين غابـر

أيقنتُ أنيّ لا محــالةَ حيــثُ صارَ القومُ صائـر

الشرح:

عوا: تنبّهوا

داج: مظلم.

-ساج: ساكن، هادئ.

-تزهر: تتلألأ وتشرق.

-تزخر: تمتلئ وتفيض.

-مدحاة: دحا الله الأرض بسطها وجعلها كالبيضة.

-طحنهم: أهلكهم وأماتهم وحطّمهم.

-كلكله: صدره.

-مزّقهم: فرّقهم.

تعد خطبة قس بن ساعدة من أبرز الخطب الوعظية، وقد استهلّ بنية هذا الخطاب بالصيغة الندائية المتعلّقة بالخطاب الأمري الصادر عن المرسل والّذي يقصد حمل المرسل إليه على الأخذ به والزامه بذلك في قوله " أيها الناس اسمعوا وعوا " هو يدعو الناس إلى الاتّعاظ والأخذ بسبل التأمّل والعقل.

وتناولت الخطبة مجموعة من الأفكار التي كانت سائدة في عصر الخطيب ملخّصها قضية الحياة والموت أو الوجود والعدم، وفصّل ذلك بتناول الماضي والحاضر والمستقبل، فالماضي "من مات فات" الذاهبون الأوّلون الفانون. وأمّا الحاضر فيتمثّل في ظواهر الطبيعة الّتي حوله من ليل ونهار وجبال وأنهار وأرض وسماء والنّاس يعيشون عليها معتنقين أديانا مختلفة "إنكم لتأتون من الأمر منكرا". وأمّا المستقبل فهو يتحدّث عن نبي آخر الزمان، فبشرى لمن أدركه وآمن به، والويل لمن عصاه .

الخصائص الفنية للخطبة

-الخطبة مصنوعة صنعة فنية متقنة فهي تتميّز بقصر الجمل الّتي صيغت في نسيج فنّي متناسق يتضمّن سجعا شبه ملتزم في غير إقحام ولا تعنّت، وموازنة فنّية سببها اشتقاقات الألفاظ الخاصّة وترتيبها.

-أسلوب الخطبة يجمع بين الخبر والإنشاء، فالخبر متمثّل في التقارير البيئية الّتي يرصدها رصدا "ضوء ظلام وبر وآثام ، ومطعم ومشرب وملبس ومركب .." وهكذا حقائق متلاحقة في تراكيب قصار، تعبّر عن ملاحظات وأنفاس متقطّعة، وكذلك تبعث في النفس العظة والاعتبار مثل "في الذاهبين الأوّلين من القرون لنا بصائر ..." إلى غير ذلك من العبر.

وأمّا الإنشاء فيتمثّل في الأمر والاستفهام والنداء والتعجّب وغيره مثل "اسمعوا وعوا، أيّها الناس، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون" تدلّ على الدهشة والتعجّب، "أرضوا بالمقام

فأقـاموا ؟ أو تركـوا فنـاموا ؟" وهـذا اسـتفهام تعجـبي اسـتنكاري يـوحي بالحـيرة والسـخرية مـن المتكالبين على الدنيا.

-الخطيـب هنـا شـاعر فقـد جمعـت خطبتـه شـيئا مـن شـعره في ذات الموضـوع خـتم بهـا خطبتـه ليحدث في جمهور السامعين في سوق عكاظ هزّة نفسية عنيفة وتأثيرا عاطفيا .

وقـد صـار الاستشـهاد بالشـعر تقليـدا فنّيـا عنـد بعـض الخطبـاء الشـعراء. والخطبـة في مجملهـا مجموعة من المواعظ التي صيغت صياغات مؤثرة.

المحاضرة الثالثة: الخطابة في الإسلام.

كـان ظهـور الإسـلام إيـذانا بتطـوّر واسـع في الخطابـة، إذ اتّخـذها الرسـول-صـلّى الله عليـه وسـلّم-أداة للـدّعوة إلى الـدّين الحنيـف بالحكمـة والموعظـة الحسـنة، فكانـت متمّمـة للـذكر الحكيم ومن ثمّ كانت فرضا مكتوبا في صلاة الجمع والأعياد ثمّ مواسم الحج.

وطبيعـي أن تقضـي هـذه الخطابـة علـى كـلّ لـون قـديم مـن الخطابـة الجاهليّـة لا يتّفـق وروح الإسلام، فقد نهى الإسلام عن التفاخر بالآباء والأنساب والأحساب.

خطبة الوداع:

تعـدّ خطبـة حجـة الـوداع مـن أعظـم الوثائـق التاريخيـة الّـتي أرسـت ركـائز المجتمـع الإسـلامي وكانـت نبراسـا يسـتنير بتعاليمـه المسـلمون في سـلمهم وحـربهم ويسـتلهمون منهـا القـيم الأخلاقيـة وأصـول المعاملـة المثاليـة، لاشـتمالها علـى جوامـع الكلـم وأصـول الأحكـام في السياسـة والاقتصاد والأسرة والأخلاق والعلاقات العامّة والنظام الاجتماعي.

ظروف الخطبة ومناسبتها

أ- الظـرف الزمـاني: ألقيـت الخطبـة في التاسـع مـن ذي الحجـة في السـنة العاشـرة للهجـرة، وهـو اليوم الّذي يسمّى (يوم عرفة).

ب- الظرف المكاني: ألقيت الخطبة في صعيد عرفات فوق جبل الرحمة

ج- مناسبة الخطبة: هي حجّة النبي-صلّى الله عليه وسلّم- بالمسلمين في السنة العاشرة من الهجرة بعد فتح مكّة في 20 رمضان السنة 8 للهجرة، وقد توفي بعد هذه الحجة بثلاثة أشهر تقريبا، فكانت أول وآخر حجة للنبي –صلّى الله عليه وسلّم- ولهذا سمّيت بخطبة الوداع.

مقتطفات من الخطبة:

الحمدُ لله نحمدُهُ وَ نَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إليه، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنْفُسِنا ومِنْ سيّئات أعْمَالِنَا مَن يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضَلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحْده لا شريك له وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه. أوصيكُم عبادَ الله بتقوى الله، وأحثّكم على طاعته! وأستفتح بالّذي هو خير. أَمَّا بعد، أيّهَا النّاس ! اسْمَعُوا منّي أُبّينْ لَكُمْ، فَإنّيَ لاَ أَدْرِي، لعَليّ لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامي هَذَا، في مَوْقِفي هذا. أَيُهَا النَّاس ! إنّ دِمَاءَكُمْ وَأمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَليكُمْ حَرَامٌ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في شَهْرِ كُمْ هَذَا في بَلَدِكُم هَذَا، ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد. فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانةٌ فليؤُدِّها إلى الّذي ائْتمَنَهُ عَلَيها. وإنّ كلّ ربا موضوع ... وإنّ ربا عمّي العباس بن عبد المطلب موضوع كلّه. وإنّ كلّ دم كان في الجاهلية موضوع وإنّ أوّل دمائكم أضع دم عامر ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب... وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسقاية، والعمد قَوَدٌ وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن ازداد فهو من الجاهلية.

أمّا بعد أيّها النّاس ! فإنّ الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنّه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من أعمالكم...

أيّها الناس ! إنّ لِنسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حقاً ولَكُمْ عَلَيْهِنّ حقّ...فاتّقوا الله في النّساء واستوصوا بهنّ خيرا ، فإنّهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ... ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد.

أَيهَا النّاسُ ! إنّما المؤمِنُونَ إخْوةٌ ، فَلاَ يَحِلُّ لأمرئ مَالُ أَخيهِ إلاّ عَنْ طيبِ نفْسٍ منهُ، أَلاَ هَلْ بلّغْتُ، اللّهُم اشْهَدْ، فلا تَرْجِعُنّ بَعْدِي كُفّاراً يَضرِبُ بَعْضُكُمْ رقابَ بَعْض، فَإنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أخَذتمْ بِهِ لَن تَضِلُّوا بَعْدَهُ، كِتَابَ اللهِ وَ سُنَّة نَبيّه ، أَلاَ هَلْ بلّغتُ، اللّهمّ اشْهَدْ...

الشرح:

شملت الخطبة أهمّ المعالم الحضارية للمجتمع الإسلامي، وأصول الإسلام ومقاصد الأنام، فكانت بحق بليغة المقال، جامعة لخَيْرَيْ الدنيا والمآل، فقد استفتحها النبي ﷺ بحمد الله والثناء عليه وأوصى أمته بتقوى الله وطاعته والاستكثار من فعل الخيرات، وأومأ إلى قرب أجله وفراقه لأحبته. ثم صَدَّرَ خطبته بالتأكيد على حرمة الدماء والأموال والأعراض مبيّنا قدسيتها في الإسلام ومحذّرا من الاعتداء عليها. ثمّ ذكّر المؤمنين باليوم الآخر ومحاسبة الله للخلائق أجمعين، وضرورة إعظام شأن الأمانة وأدائها لأصحابها والتحذير من تضييعها.

بعدها انتقل –صلّى الله عليه وسلّم– إلى تحذير المسلمين من العودة لعادات الجاهلية وأخلاقها السيئة، مذكرا بأبرزها: كالثأر والربا والعصبية والتلاعب بالأحكام واحتقار النساء...إلخ، وأعلن القطيعة البَاتَّةَ مع العهد الجاهلي. ثمّ عرّج إلى التحذير من كيد الشيطان واتّباع خطواته، ومن أخطرها احتقار الذنوب والإصرار عليها، فالشيطان وإن كان قد يئس من إعادة الشرك إلى مكّة بعد فتحها إلاّ أنّه سَاعٍ بينكم بالنميمة والتحريش والعداوات.

وحظيت المرأة بالنصيب الأوفر من خطبة الوداع، فبيّن –صلّى الله عليه وسلّم–منزلتها في الإسلام وطالب الرجال أن يتواصوا بها خيرا، وذَكَّر بحقوقها وواجباتها وعلى ضرورة الإحسان إليها باعتبارها شريكا في العشرة الزوجية، مبطلا بذلك النظرة الجاهلية للمرأة، ومؤكدا على دورها الأسري والمجتمعي .

ثمّ أكّد –صلى الله عليه وسلّم–على مبدأ الأخّوة بين المسلمين وحذّر من انتهاك الحرمات وأكل أموال الناس بالباطل والعودة إلى العصبية والتقاتل ونكران نعم الله .

لينتقل بعدها إلى بيان أهمّية ووجوب الاعتصام بكتاب الله وسنّة نبيّه والعمل بما فيهما من أحكام ومقاصد جليلة، لأنّهما سبيل العصمة من الضلال .

موضوعات الخطابة في صدر الإسلام

1–الدّعوة إلى الإسلام وتوحيد الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتّحذير من بطش الله والتّرغيب في ثوابه، أو تقرير حكم ديني.

2–تشجيع جيوش المسلمين وتوصيتهم بما يعاملون به المشركين والتّحريض على قتالهم، أو تهنئة المسلمين على الظفر بعدوّهم.

3–حلّ المعضلات السياسية من شرح خطّة أو تأييد بيعة أو ردّ شبهة.

أسلوب الخطابة

يمتاز أسلوب الخطابة في صدر الإسلام عن أسلوبها في الجاهليّة بقوّة عباراته وسهولة ألفاظه وتجنّبه سجع الكهّان، والاستفتاح غالبا بحمد الله والثناء عليه، ومحاكاتها أسلوب القرآن في الاستدلال على الله وتنزيهه، والترغيب في العمل الصالح بضرب المثل وقصّ القصص، وكثرة الاقتباس من آياته والاستشهاد بها.

نماذج عن الخطابة في عصر صدر الإسلام:

1–خطبة أبي بكر الصدّيق–رضي الله عنه–

لما بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة يوم السّقيفة، خطب أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

"أمّا بعد أيّها النّاس فإنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتّى أريح عليه حقّه إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلاّ ضربهم الله بالذلّ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلاّ عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

2-خطبة عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-

من خطب عليّ-كرّم الله وجهه-خطبة له خطبها بعد التحكيم يوم صفين جاء فيها: الْحَمْدُ للهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ ، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاّ اللهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلهٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وسلّم.

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ في هذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمُ أَمْري بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ

3-خطبة طارق بن زياد

قام طارق بن زياد خطيباً في أصحابه، فحَمِدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ حثّ المسلمين على الجهاد ورَغَّبهم ثم قال:

أيّها الناس، أين المفَرُّ؟ البحرُ من ورائكم، والعدوُّ أمامَكم وليس لكم واللهِ إلا الصدقُ والصَبْرُ. واعلموا أنّكم في هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الأيتام في مَأْدُبَةِ اللِّئام، وقد اسْتَقْبَلَكم عدوّكم بِجَيْشِهِ وأَسْلِحَتِهِ، وأَقْواتُه موفورةٌ ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلاّ سيوفُكم ولا أقواتَ إلاّ ما تَسْتَخْلِصُونَه من أيدِي عدوِّكم، وإن امْتَدّتْ بكم الأيّامُ على افتقارِكم ولم تُنْجِزوا لكم أمراً

ذهبتْ رِيحُكم، وتَعَوّضَتِ القلوبُ من رُعْبِها منكم الجَرَاءَةَ عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خُذْلانَ هذه العاقبة من أمركم بِمُنَاجَزَةِ هذا الطاغية.

المحاضرة الرابعة: السرد في الأدب العربي القديم

1-تعريف السرد:

هو أسلوب من الأساليب المتّبعة في القصص و الروايات و كتابة المسرحيات، و يعدّ أداة للتعبير الإنساني إذ يقوم الكاتب بترجمة الأفعال و السلوكات الإنسانية و الأماكن إلى بنى من المعاني بأسلوب السرد، وبذلك يكون الكاتب قد قام بتحويل المعلومة إلى كلام مع ترتيب الأحداث.

2-أركان السرد:

أ-الراوي:

هو الناقل للمادّة الّتي يقدّمها المؤلّف أو بمعنى آخر هو الشخص الّذي يوظّفه الكاتب لسرد أحداث القصّة، وقد يصرّح باسمه أو لا يصرّح.

وهناك ثلاث طرق:

- طريقة يكون فيها الكاتب مؤرّخا يسرد من الخارج، فيوظّف راو يقوم برواية القصّة، ويرويها بلغة الغائب، ويسمّى هذا النوع من السرد: الطريقة المباشرة.

- طريقة يكون فيها الكاتب كاتبا شاهدا، وهو الّذي يكون ضمن الأحداث و عليما بها، متلبّسا بشخص أحد الأبطال، فهو شاهد على وقوع الحدث، فنجده يتكلّم بضمير المتكلّم. و يسمّى هذا النوع من السرد السرد الذاتي.

- طريقة يكون فيها الكاتب كاتبا متدخّلا، و هو الّذي يبدي رأيه حول أيّ موضوع بصورة بارزة، و أحيانا يكون ذلك في تحليل الشخصيات وسلوكها.

ب-الشخصيات:

هم أبطال القصّة الّذين تقع عليهم الأحداث، وقد يكونوا هم صنّاع الأحداث. و هناك شخوص رئيسة و أخرى ثانوية.

ج-الحوار:

هو نقل الحديث وعرض الأحداث بلسان الشخصيات من خلال مخاطبة أحدهم الآخر.

د-الأحداث:

هي مجموعة الأفعال و الوقائع مرتّبة ترتيبا سببيّا، وسائرة نحو هدف معيّن، وهي المحور الأساس الّذي ترتبط عن طريقه عناصر القصّة ارتباطا وثيقا.

هـ-الزمان و المكان:

لا بدّ لكلّ عمل أن يتمّ في زمان ومكان، فالزمن يجب أن يكون متسلسلا يبدأ من نقطة معيّنة، ثمّ يسير إلى الأمام حتّى تنتهي القصّة. و الأحداث تكون مرتّبة بحسب الزمان حدثا بعد آخر، فالزمان يساعد على تطوّر الأحداث و يقوم بتوضيح السببيّة الّتي تحرّك الأحداث وتدفع بها إلى الأمام.

و المكان هو الوسط الطبيعي الّذي تجري ضمنه الأحداث وتتحرّك فيه الأشخاص، وتنبع أهمّية البيئة من دورها في تكوين الأحداث وإظهار مشاعر الأشخاص والمساعدة على فهمها.

و-الفكرة أو المغزى:

قبل أن يبدأ الكاتب بالكتابة تساوره فكرة يحاول عرضها وإيصالها للمتلقي. والفكرة يجب أن تسير من خلال الأحداث بصورة خفيّة ويستخلصها القارئ ولا يصرّح بها الكاتب تصريحا. ونسمّي الدرس الّذي يفهمه المتلقي بعد قراءة العمل الأدبي "مغزى ."

المحاضرة الخامسة: تقنيات السرد في ألف ليلة وليلة. حكاية حاسب كريم الدين.

نبذة عن كتاب ألف ليلة وليلة

يعدّ كتاب ألف ليلة وليلة مجموعة قصصية من الشرق الأوسط والهند، وهي لحدٍّ ما غير مؤكدة من ضمنها حكاية علاء الدين، وعلي بابا، وسندباد والتي أصبحت جزءاً من الفلكلور الغربي.

تختلف الأقوال والآراء حول مؤلف كتاب ألف ليلة وليلة ومن هذه الآراء. في النسخة الإيرانية للكتاب قيل بأنّ مؤلفه شخص شامي، و في النسخة الإنجليزية تمّت الإشارة أنّ مؤلفه مجموعة من الأشخاص لكلِّ شخصٍ طابع مميز يروي حكايته بأسلوبٍ مختلف ومغاير للآخر. قيل إنّها مجموعة من القصص الهندية والفارسية والرومية تمّت ترجمتها وكانت تسمى هزار فرسانة (أي ألف خرافة).و قيل إنّ مؤلف بعض حكاياتها شخص يوناني الأصل فبعض أحداث القصص يغلب عليها الطّابع اليوناني. واجتهد بعض الدّارسين والباحثين في الأدب العربيّ والشرقيّ لإيجاد مؤلّف كتاب ألف ليلة وليلة مستندين على أسلوب الكتابة وطريقة استخدام مفردات اللّغة والاستشهاد بالنوادر، و بعد البحث المستمر توصَّلوا إلى أنّ المؤلف هو أبو حيّان علي بن محمد بن العباس التّوحيدي البغدادي الذي لُقّب (بأديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء)، وأنّ حكايات ألف ليلة كتبت في العصر العباسي وانطلقت بطريقها إلى بغداد مروراً بالشّام ومصر ومع تنقُّلها تمت إضافة الكثير من القصص التي تحكي واقع الشّعب وتاريخ الأمة.

السرد في كتاب ألف ليلة وليلة

تقع حكايات الليالي وفق الهيكل التنظيمي في أربعة أنواع هي:

1-حكاية المفتتح: وهي حكاية الملك شهريار وما جرى له من أحداث منذ اكتشافه لخيانة زوجته الأولى وحتّى نهاية الليالي.

2-حكـايات الإطـار: وهـي الحكـايات الـتي أخـذت شـهرزاد تقصـها أمـام زوجهـا الملـك شهريار.

3ـ حكـايات تضـمينية: وهـي الحكـايات الـتي تـدخل ضـمن حكـايات الإطـار ولهـا دلالاتهـا الفنية والموضوعية.

4ـ حكـايات خـارج السـياق: . وهـي الحكـايات الـتي تـرد داخـل الحكـايات التضـمينية دون أن تفيد شيئاً في مجمل أحداث حكايات الإطار أو الحكايات التضمينية.

ينطلـق السـرد ابتـداء مـن حكايـة الإطـار "حكايـة حاسـب كـريم الـدين" الـتي تبـدأ في الليلـة – 472- وتنتهـي في الليلـة -560- حيـث تبـدأ شـهرزاد بقصـها لهـذه الحكايـة أمـام زوجهـا شـهريار عنـدما تقـول: "بلغـني أنّـه كـان في قـديم الزمـان....الخ" وتنتهـي بقولهـا: "وهـذا آخـر مـا انتهـى إلينـا مـن حـديث حاسـب بـن دانيـال رحمـه الله تعـالى والله أعلـم". بعـدها تبـدأ بقـص حكايـة أخـرى مـن حكـايات الإطـار وهـي حكايـة السـندباد ومـن خـلال روايـة أحـداث هـذه الحكايـة نتعـرف علـى حاسـب بـن الحكـيم دانيـال ومـا جـرى لـه مـن أحـداث منـذ ولدتـه أمـه حـتى نهايـة الحكايـة وكيـف أنـه تعـرّف علـى بعـض الحطـابين الّـذين عمـل معهـم في التحطيـب وكيـف وصـل إلى مملكـة الحيّـات ومحاولاتـه العديـدة في العـودة إلى أهلـه وكيـف أن ملكـة الحيّـات كانـت تقـصّ عليـه الحكـايات العديـدة كـي تعيـق عودتـه إلى أهلـه لأنّ في عودتـه موتهـا. لكنّهـا تقبـل في الأخـير بعـد أن تعهّـد أمامهـا بأن لا يسـتحم في حمـام عمـومي.. فيعـود إلى أهلـه لكنّـه يجـبر علـى الاسـتحمام في حمـام عمـومي، ممّـا يـؤدّي إلى فقـدان ملكـة الحيّـات لحيّاتهـا لأنّ في لحمهـا دواءً شـافياً لعلـة الملـك. هـذا ملخـص للحكايـة يظهرهـا علـى أنّهـا حكايـة عاديـة لكـن تضـمينها لحكـايتين أخـريتين تعطـي دلالاتهـا النفسـية والاجتماعيـة والدينيـة والأخلاقيـة كـذلك. إن حكايـة حاسـب كـريم الـدين تتضـمّن حكايـة أخـرى هـي حكايـة بلوقـا، الّـتي هـي في الوقـت نفسه تتضمّن حكاية ثالثة من نوع حكايات خارج السياق هي حكاية جانشاه.

وكانت شهرزاد بين الحين والآخر وهي تحكي للملك حكايتي بلوقا وجانشاه بصوت ملكة الحيّات كانت تتذكر حكاية حاسب من خلال قولها أن حاسبا كان يطلب من ملكة الحيّات بين حين وآخر أن تخرجه من مملكتها إلى أهله.

الحكاية التضمينية: حكاية بلوقا.

عندما كان حاسب يطلب من ملكة الحيّات إخراجه من مملكتها إلى الأرض كانت هي تطلب منه أن يبقى في مملكتها لتقص عليه ما جرى لها من حوادث، عند ذلك تقصّ عليه حكاية الشاب بلوقا الّذي يخرج في سبيل الالتقاء بالنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– لكنّه لا يوفّق في ذلك لأنّ وقت خروجه قد جاء قبل ولادة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– بمئات السنين. في هذه الحكاية الكثير من المفاهيم الفلسفية والدينية والأخلاقية وكذلك تأثرها بحادثة الإسراء والمعراج، وبملحمة كلكامش وبعض القصص الدينية.

إنّ تضمين هذه الحكاية داخل حكاية حاسب أريد منه الوصول إلى هدفين هما:

1ـ الهدف الرئيسي: وهو إبقاء حاسب في مملكة الحيّات لفترة طويلة كي ينسى أهله لأنّ في خروجه موتاً لملكة الحيات: هدف إبطاء.

2ـ الهدف الثانوي: و الّذي من خلاله بيان ما حدث لملكة الحيات من حوادث مؤلمة على يد بلوقا: هدف أخلاقي.

ويأتي التداخل السردي التضميني في حكايات الليالي ليخدم غرضاً مهماً من أغراض البناء الفنّي للحكايات.. وكذلك ليعطي دلالاته الاجتماعية والأخلاقية، ليصبح هذا التداخل إضافة لما فيه من تجويد فنّي في الشكل خدمة الأغراض الاجتماعية والأخلاقية والنفسية والدينية لدى السامع.

إن مثل هذا التداخل السردي يعني فيما يعنيه تقسيم الحكاية الواحدة إلى مجموعة من الأحداث الصغيرة المكتفية بذاتها معنى ودلالة، لكنّها لا يمكن أن تعطي المعنى العام للحكاية الأم مالم تتداخل مع بعضها، حيث يتداخل الأوّل بالثاني والثاني بالأول والثالث وهكذا حتّى تكتمل الحكاية، أي أن الحدث يركب على الحدث الّذي قبله ويدخل في الحدث الّذي يليه.

تبدأ حكاية حاسب كريم الدين في الليلة 472 عندما تقول شهرزاد "بلغني أنّه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان حكيم..." ثمّ تبدأ بقصّ الأحداث:

الحدث الأول:

تبدأ الحكاية عن الحكيم دانيال موضّحة أنّه كان غير ذي خلف حيث لم يرزقه الله بمولود فيدعوه إلى ذلك ويستجيب سبحانه وتعالى إلى دعواه وقبل الولادة يموت الحكيم مخلّفاً لذلك المولود المنتظر خمسة أوراق، تحتوي على العلم والحكمة، وعندما يولد الطفل ويكبر تزوجه أمّه .

الحدث الثاني:

يتعرّف حاسب على مجموعة من الحطابين ويعمل معهم وفي أحد الأيام يصلون إلى بئر فيه عسل ينزل حاسب إلى داخل البئر لإخراج العسل فيتركه أصحابه داخل البئر.

الحدث الثالث:

يعود الحطّابون إلى أمّه، ويخبروها بأنّ الذئب قد افترس ابنها (تأثيرات قصة يوسف)، فتقيم له مأتماً.

الحدث الرابع:

يعـود الخطـاب الحكـائي إلى حاسـب حيـث نـراه يخـرج مـن البئـر إلى مكـان غـير الأرض، مـن خلال ثقب جانبي (مدخل إلى العالم الآخر، العالم السفلي)، ويصل إلى مملكة الحيات.

الحدث الخامس:

الـدخول إلى مملكـة الحيّـات والالتقـاء بملكـتهن، وطلبـه المسـاعدة منهـا في الخـروج إلى الأرض والعـودة إلى أهلـه. لكنّهـا كانـت تطلـب منـه البقـاء وسمـاع حكايتهـا ومـا جـرى لهـا بسـبب مسـاعدتها للإنسـان، حيـث تبـدأ بقـص حكايـة بلوقـا ويمكـن الاسـتمرار في تتبـع هـذا النـوع مـن السرد في القسم الثاني من هذه الحكاية والّذي يأتي بعد حكاية بلوقا وجانشاه.

المحاضرة السادسة: تقنيات السرد في كليلة و دمنة. باب القرد و الغيلم

التعريف بكتاب كليلة ودمنة

هـي مجموعـةٌ مـن الحكـاياتِ تعـود إلى القـرنِ الرابـع مـيلادي، كـان يرويهـا الفيلسـوف الهنـدِّيُ (بيـدبا) لِملكـهِ (دبشـليم)، وهـي خلاصـة مـن الحِكـم مروِّيـة بأسـلوبٍ مسـلٍ علـى ألسـن الحيـوانات، و ذاتِ طـابعٍ يـرتبطُ بالحكمـةِ والأخـلاقِ والسياسـةِ ومـنهجِ الحكـم . وممـا كتبـه ابـن المقَّفـع في(باب عـرض الكتـاب) : " هـذا كتـاب كليلـة ودمنـة، وهـو ممـا وضـعه علمـاء الهنـد مـن الأمثـال والأحاديـث الـتي أُلهمـوا أن يُـدخِلوا فيهـا أبلـغ مـا وجـدوا مـن القـول في النحـو الـذي أرادوا. ولم يـزل العلمـاء مـن أهـل كـل ملـةٍ يلتمسـون أن يعقـل عـنهم، ويحتـالون في ذلـك بصـنوف الحيـل؛ ويبتغـون إخـراج مـا عنـدهم مـن العلـل، حـتى كـان مـن تلـك العلـل وضـع هـذا الكتـاب علـى أفـواه البهـائم والطـير". وقـد ترجمـت هـذه الحكـايات مـن الهندِّيـة الى الفارسِّـية علـى يـد طبيـب فارسِّـيٍ يـدعى (بَرْزَوَيْـه) ثم ترجمهـا ابـن المقفَّـع إلى العربيَّـة فكانـت مـن أوائـل الكتب التي نقلت الى العربيّة في تلك الفترة

مضمون باب القرد والغيلم:

تـدور حكايـة" القـرد والغـيلم" حـول قـرد اسمـه "مـاهر" كـان يحكـم قومـه فتقـدّمت بـه السـنون، فقـام قـرد شـاب بانقـلاب عسـكري عليـه، هـرب القـرد المسـنّ حـتّى صـادف في مسـيره شـجرة تـين اتّخـذ منهـا مسـكنا ومـأوى، وكـان الوقـت ثمـارا فـاعتلى القـرد المتعـب ظهـر الشـجرة، ثمّ شـرع يتـذكّر أيّامـه، ويأكـل تينـة فيمضـغها، فوقعـت واحـدة مـن يـده فسـمع لهـا رنينـاً محببـا صـادراً مـن سـاقية المـاء تحتـه، فأعـاد فأكـل ورمـى، واسـتمرّ هكـذا بأكـل واحـدة ورمـي ثانيـة فيتمتّـع بالـرنين والمـذاق الحلـو، حـتّى كـان اليـوم الّـذي فـوجيء "القـرد" المسـنّ بالغـيلم يتقـدّم إليـه فيسـلمّ عليـه ويشـكره لمـا ألقـى مـن تـين إلى النهـر. ومـع الوقـت نمـت الصـداقة بـين "القـرد والغـيلم"، ولكـنّ الحـدث لم يكـن خـبرا سـارا لزوجـة الغـيلم، فقـد سـاءها تأخّـر زوجهـا في العـودة إلى المنـزل، فلمّـا سـألت عـن الخـبر قـالوا إنّـه صـادق قـرداً شـيخاً وَهَـنَ العظـم منـه، علـى ظهـر شـجرة؛ فهمـا خلـيلان يتسـارّان ويـروي كـلّ منهمـا للآخـر محـن الـدهر وتصـاريف القـدر، فنصـحوها أن تتمـارض حـتّى إذا عـاد الغـيلم لـيلا أخـبروه أنّ مرضـها أعيـا الأطبـاء، ولا دواء لـه غـير قلـب قـرد. فكّـر الغـيلم فلـم يجـد سـوى قلـب صـاحبه الهـارب مـن الانقـلاب العسـكري، في مملكـة القـردة، فجـاءه في الصـباح وقـد عـزم الغـدر بـه فقـال: إنّـني أريـد إكرامـك كمـا أكـرمتني، وأريـدك أن تـتمّ إحسانك إليّ بزيارتك لي في منزلي ".

إذا تأمّلنـا الحكايـة وجـدنا بناءهـا منتظمـاً يـراوح بـين السـرد والحـوار، ذلـك أن "الحـوار مـن يفسـح المجـال لعـرض الأفكـار والحجـج أو دحـض أفكـار الخصـم" فحـوار الملـك "دبشـليم" مـع الفيلسـوف بيـدبا، أنـتج حكايـة شخصـتها حيـوانات، تفرّعـت عنهـا حكايـة أخـرى مضـمّنة في الحكاية الأولى هي حكاية "الأسد وابن آوى والحمار."

السرد:

افتتح السارد حكاية "القرد والغيلم" كما في كل الحكايات السالفة في "كليلة ودمنة"، بصيغة "زعموا أن"، وهي صيغة تؤشّر إلى بداية السرد، أو بداية القصّة بعد الحوار الّذي يجري بين المؤلّف والملك. و هذه البداية توحي بأنّ بيدبا ليس مؤلّف هذه القصص، بل هم قوم آخرون غير معروفين أو على الأقلّ لا يعرف بهم بيدبا، ولكن يبدو من خلال صيغة "زعموا أن" أنّهم ينتمون إلى الماضي البعيد، وأنّهم حكماء استطاعوا أن يصلوا إلى الحكمة الخالصة، كما توحي الصيغة على سكوت المؤلّف وصمته، وتسليم زمام السرد لشخصيات الحيوانات" القرد والغيلم"، أما ابن المقفع، فإنه يتوارى نهائياً، ففي "كليلة ودمنة" كلّها، اقتصر حضوره فقط على مقدّمة الكتاب، ثمّ اختفى في الحكايات كلهّا، و هذا رغبة منه في الإلمام بواقعية قصصه ووجودها الفعلي، ومنه نستجلي خضوع بناء السرد للمتن الحكائي حيث تسرد القصّة أو تحكى.

من هنا يتبيّن أن خصائص السرد حاضرة في الحكاية، فقد مثّل القرد والغيلم شخصيتين رئيستين دار حولهما حدث "طلب الرجل حاجة، حتى إذا ظفر بها أضاعها"، ومثّلت زوجة الغيلم وصديقتها، والقرد الأصغر الّذي كان وراء الانقلاب العسكري على القرد "ماهر" الهرم شخصيات ثانوية، أمّا "الأسد وابن آوى والحمار" فقد كانوا شخصيات ضرب بهم المثل، فكانت بذلك حكاية صغرى ذات مرامي بعيدة، متضمّنة في الحكاية الكبرى" القرد والغيلم ."

من هنا نستنتج أن حكاية "القرد والغيلم الواردة في كليلة ودمنة"، توافرت فيها جلّ شروط السرد، وبهذا خضعت لتقنيات البنية السردية، الّتي تجعل الخطاب ذا أثر إقناعي فيمن وجّهت إليهم.

-يتميّز باب "القرد والغيلم" باحتوائه حكمة وجودية وأحكام فلسفية عميقة، إذ إنّ مجمل الأوضاع الّتي مرّ بها "القرد والغيلم" تشير إلى قضية هامّة وحاسمة إضافة إلى مفهومي الصداقة /العداوة، هي قضية تمييز الحقيقة من الوهم.

فالغيلم يستدرج صديقه إلى بيته لنزع قلبه، ضارباً بالصداقة التي جمعتهما. القلب الذي طلبته زوجته لتشفى من تمارضها، والتي لجأت إلى هذه الخطة بمعية صديقتها بعد أن طالت غيبة زوجها. صدّق الغيلم هذا الادعاء فأراد أن يفتك بصاحبه ويرضي زوجته، لكن تردّده أثناء السباحة، مكّن القرد من استدراك أمره. وفعلا نجح القرد في التخلّص من الغيلم بخطّة محكمة لا تقلّ دهاء عن الّتي وقع فيها، حيث أوهم صديقه بأنّهم معشر القردة يتركون قلوبهم في منازلهم عندما يزورون أحداً حتّى لا يستولي عليهم الطمع فيما هو ليس من حقهم. صدّق الغيلم أيضا هذه الفكرة لأنه لم يدرك نباهة القرد، كما لم يدرك مكر زوجته سابقاً، فهو يتأرجح بين شرّ زوجته و فطنة صديقه القرد، وهو لا يمارس أيّ دور فعال للعقل، بل ينساق وراء كلّ فكرة. و نباهة القرد كانت أقوى عندما روى للغيلم حكاية أخرى وهو يتباهى عليه فوق الشجرة، إنّها حكاية "الأسد والحمار وابن آوى" الّتي تجسّد نموذجهما. ومضمون الحكاية أنّ الأسد يضعف عن الصيد فينصحه بن آوى "بقلب" حمار و"أذنيه". جاء ابن آوى إلى حمار ضعيف فنصحه بترك صاحبه إلى مكان أكثر خصوبة، وجاء به إلى الأسد، لكنّ الحمار استطاع الهرب، ثمّ جاء به مرّة ثانية إلى الأسد الّذي لم يفوّت الفرصة هذه المرّة فوثب عليه وافترسه. ذهب الأسد يغتسل قبل الأكل، فجاء ابن آوى وأكل قلب الحمار وأذناه، ولما عاد الأسد سأل عنهما:" أين قلب الحمار وأذناه". قال ابن آوى: " ألم تعلم أنّه لو كان له قلب يفقه به، وأذنان يسمع بهما، لم يرجع إليك بعدما أفلت ونجا من الهلكة؟

يمكن أن نستخلص من كلّ هذه التناقضات، جملة من الأفكار أهمّها: إدانة الغيلم لمكره و خداعه و غدره و الإشادة بصلاح القرد وكرمه وصدقه وحلمه وحفاظه على الثّقة الّتي

وضعها في الغيلم إلى حين اكتشافه مكره، ولعلّ هاته الأفكار تحيلنا إلى موقف إنساني أعمق، يتجاوز "القرد والغيلم" إلى معالجة قضايا اجتماعية أخلاقية كبرى منها ضرورة التمييز بين الخير والشر.

-حرص ابن المقفع على بناء نصّه وتشكيله على نحو يستجيب لما تتطلّبه النظرية السردية وتقنيات السرد من شخصيات، وحدث، وزمان، ومكان.

المحاضرة السابعة: نشأة المقامة في الأدب العربيّ

تعريف المقامة

هي قصص قصيرة تتضمّن فكرة أدبية أو فلسفية ... أو هي أحاديث أدبية لغوية يرويها راوٍ من الرواة على جماعة من الناس بقالب قصصي بقصد التسلية، والتشويق. ومهما اختلفت موضوعات المقامة، من أدبية لغوية، أو فقهية، أو خيالية، أو أخلاقية، فإنّ اتّجاهها اللغوي التّعليمي الوعظي هو الهدف الرئيسي من إنشائها .

نشأت المقامة في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريّين، ويقال إنّ الدور الأقوى في إنشائها وإخراجها يعود إلى بديع الزمان الهمذانيّ، علماً أن هناك محاولات خجولة لكتابتها لا تضاهي تلك الّتي أبدعها بديع الزمان الهمذانيّ.

بديع الزمان الهمذانيّ

هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذانيّ، ولد عام 358 وتوفي عام 398 هجرية، ولد في همذان ودرس فيها، واتصل بالوزير والكاتب المشهور الصاحب بن عبَّاد وتعلم على يده فنون الكتابة النثرية، وأصولها، ولم يستقر به المقام في همذان؛ لأنه أحب التجوال بحثاً عن أصول كتابية جديدة تختلف عن ما هو متداول بين الناس، فاهتدى إلى فن المقامة في نيسابور، وأبدع في كتابة المقامات فيها حتى يقال إنه أملى ما يزيد عن أربعمئة مقامة

بديعية على تلاميذه فيها نحلها جميعها من شخصية أبي الفتح الإسكندري، وقصرها على الكِدية (الحيلة)، والاستجداء الذكي.

شرح مقامة بديع الزمان الهمذانيّ المضيرية

نجد كثيراً من الحوادث الأدبية الّتي يمكننا إيجاز مضمونها فيما يلي: أبو الفتح الإسكندري هو بطل الكدية، والاحتيال على الناس، يُقدّم له لون من ألوان الطعام فيعرض عن تناوله، بل ويعرب عن إعراضه عنه بسيل من السباب، فيثير موقفه غرابة المدعوين ودهشتهم، ويسألوا أبا الفتح عن السر ليصبح المدعوّون والقرّاء جميعاً في واجهة واحدة يطلّون منها على حكاية أبي الفتح مع المضيرة.

الجوّ القصصي في المقامة: تعتمد المقامة في بدايتها على الإثارة والتشويق، حين يشاهَد أبا الفتح الإسكندري في رهط من المدعوّين على الطعام، ثمّ تبدأ الأحداث تأخذ منحى آخر، لعقدة النص وهو جانب يحمل بين طيّاته عنصراً قصصياً يثير القارئ ويشوّقه ليعرف تتمّة المقامة، وما سيحدث مع أبي الفتح الإسكندري وموقفه بين التجار بعد رفضه الأكل. تحدد المقامة مكانها كالقصة تماماً، إذ توضح أنها بدأت من البصرة، حيث التقى ذلك الرهط على طعام المضيرة، وتحدد أيضاً أبطالها من الشخوص التي ألهبت الجو القصصي في المقامة، وهم المدعون، وأبو الفتح الإسكندري، والتاجر .

عناصر المقامة:

الشخصيات:

1-التاجر البغدادي:

*ريفي حديث الثراء.

*ثرثار مستطرد في حديثه.

*استغلالي، فهو لا ينتج بل يسطو على ما لدى الآخرين، ويستغلّهم في أوقات ضيقهم.

*ماكر خدّاع، ويبدو ذلك في استغلاله لجاره المتلف المسرف، ومن ثمّ حصوله على البيت بعد ادّعائه الحرص على مساعدته.

*بارع في تجميل الأشياء، ويظهر ذلك في كثير من عباراته الطويلة الوجدانية الّتي يصف بها ممتلكاته.

2-أبو الفتح الإسكندري

* مكد(يحترف الكدية).

* طفيلي، وصحبته للتاجر البغدادي شاهد على ذلك.

*فصيح بليغ، بارع الحديث.

*مضلّل، وتمنّعه الظاهري إزاء إصرار التاجر البغدادي يشهد على ذلك.

*قادر على التأثير والإقناع، و هو ما يظهر في نجاحه في إبعاد الحاضرين عن المضيرة .

شكل المقامة وأسلوبها

تنتظم المقامة المضيرية حول حكايتين:

-حكاية الإطار، ومسرح أحداثها في مدينة البصرة، وراويتها عيسى بن هشام.

-الحكاية المغلّفة (الداخلية) ومسرح أحداثها في بغداد، وراويتها أبو الفتح الإسكندري.

اعتمد الكاتب في حبك هذه الأقصوصة على مقوّمات ثلاثة:

أ-الأحداث: وتمتاز بالتشويق منذ البداية، حيث التمجيد المغالي للمضيرة مقابل رفض البطل لها، ممّا شاق القارئ للمتابعة بترقّب و تشوّق.

ب-الوصف: وهو وصف وجداني تختلط به مشاعر الواصف.

ج-الحوار: وهو ملازم للأحداث، وبدا -في ظاهره-حوارا ثنائيا، إلاّ أنّه كان-ضمنا-شبيها بالحوار الذاتي، إذ لم يكد التاجر يدع أبا الفتح يتكلّم.

جاء الحوار في أسلوب بديع الزمان الهمذانيّ محاكياً للحوار الواقعي بين شخصيتين، إحداهما ثرثارة لا تكف عن طرح الكلام، والأخرى صامتة تتلقى الحديث بمقتضاه وتجري مجراه، وهذا ما كان عليه أسلوب البديع في أغلب المقامات التي كتبها.

لغة المقامة:

واختار فيها بديع الزمان الهمذانيّ أن يزاوج بين تكلّف الألفاظ، وتسخيرها لخدمة المعنى، وتوجيهها لرسم صورة نفسيّة دقيقة لإحدى شخصيات مقاماته وهي شخصية التاجر. ومن سمات لغة المقامة: إبراز اللغة المعنى وتفصيله وتوضيحه، وذلك من خلال ملاحقة الحدث وتصويره بما يشتمل عليه من مفاجئات، وتشويق، وما يقتضيه من ملاحقة، ومتابعة. استخدام أسلوب السجع الّذي يحوي مزيداً من الموسيقى، فهو قائم على إيقاع الوزن والقافية، ومن الأمثلة عليه: (يا غلام الخوان، فقد طال الزمان، والقصاع (المدة) فقد طال المصاع (المنازعة)، والطعام، وقد كثر الكلام، فأتى الغلام الخوان، وقلبه التاجر على المكان، ونقره بالبنيان وعجمه بالأسنان (عضه ليعلم صلابته من رخاوته)، وقال: عمر الله بغداد فما أجود متاعها، وأظرف صناعها). استخدام أساليب متعددة في بناء الجملة، فزاوج بين جمل النداء، والجمل الشرطية، والجمل القائمة على التمني: (لو رأيت الدخان يغبر في ذلك الوجه الجميل، لرأيت منظراً تحار فيه العيون).

مقتطفات من المقامة المضيرية:

حدّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: كُنْتُ بِالبَصْرَةِ، وَمَعِي أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ الفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَالبَلاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ، وَحَضَرْنَا مَعْهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ، فَقُدِمَتْ إِلَيْنَا

مَضِيرَةٌ، تُثْنِي على الحَضَارَةِ، وَتَتَرَجْرَجُ في الغَضَارَةِ، وَتُؤْذِنُ بِالسَّلاَمَةِ، وَتَشْهَدُ لِمَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بِالإِمَامَةِ، فِي قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ، وَيَمُوجُ فِيهَا الظَّرْفُ، فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الخِوانِ مَكانَهَا، وَمِنَ القُلُوبِ أَوْطَانَهَا، قَامَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا، وَيَمْقُتُهَا وَآكِلَهَا، وَيَثْلِبُهَا وَطَابِخَهَا، وَظَنَنَّاهُ يَمْزَحُ فَإِذَا الأَمْرُ بِالضِّدِّ، وَإِذَا المِزَاحُ عَيْنُ الجِدِّ، وَتَنَحَى عَنِ الْخِوَانِ، وتِرِكِ مُسَاعَدَةَ الإِخْوَانِ، وَرَفَعْنَاهَا فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا القُلُوبُ، وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا العُيُونُ، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الأَفْوَاهُ، وَتَلَمَّظَتْ لَهَا الشِّفَاهُ، وَاتَّقَدَتْ لَهَا الأَكْبَادُ، وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الفُؤَادُ...

...وَخَرَجْتُ نَحْوَ البَابِ، وَأَسْرَعْتُ فِي الذَّهَابِ، وَجَعَلْتُ أَعْدُو وَهُوَ يَتْبَعُنِي وَيَصِيحُ: يَا أَبَا الفَتْحِ المِضِيرَةَ، وَظَنَّ الصِّبْيَانُ أَنَّ المِضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصَاحُوا صِيَاحَهُ، فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ، مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ، فَلقِي رَجُلٌ الحَجَرَ بِعِمامَتِهِ، فَغَاصَ فِي هامَتِهِ، فَأُخِذْتُ مِنَ النَّعَالِ بِمَا قَدُمَ وَحَدُثُ، وَمِنَ الصَّفْعِ بِمَا طَابَ وَخَبُثَ، وَحُشِرْتُ إِلَى الحَبْسِ، فَأَقَمْتُ عَامَيْنِ فِي ذلكَ النَّحْسِ، فَنَذرْتُ أَنْ لا آكلَ مَضِيرَةً ما عِشْتُ، فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالَهَمْدانَ ظَالِمٌ؟ قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبِلْنَا عُذْرَهُ، وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ، وَقُلْنا: قَدِيماً جَنَتِ المِضِيرةُ عَلَى الأَحْرَارِ، وَقَدَّمَتِ الأَرَاذِلِ عَلى الأَخْيارِ.

مقامات الحريري

هي مقامات أدبية ألّفها محمّد الحريري البصري (446هـ/1054م -516 هـ/ 1122م) وهي من أشهر المقامات الّتي تنتمي إلى فنّ من فنون الكتابة العربية الّذي ابتكره بديع الزمان الهمذاني، وهو نوع من القصص القصيرة تحفل بالحركة التمثيلية، ويدور الحوار فيها بين شخصين، ويلتزم مؤلّفها بالصنعة الأدبية الّتي تعتمد على السجع والبديع.

مقامات الحريري، نظمها محمد الحريري وقام برسم حكايتها يحيى بن محمود الواسطي وتدور حول إبتزاز المال عن طريق الحيلة من خلال مغامرات بطلها أبي زيدِ السروجي الّتي يرويها الحارث بن همام. لغتها مسبوكة متينة، لا تخلو من بعض التصنّع. الحريري يعدّ من أوائل

أُدباء عصر الأدب العربي، ثاني كتب المقامات شهرة وأجلّها أثراً. قال الزمخشري في مدحه وهو من معاصريه: " أقسم بالله وآياته ومشعر الحجّ وميقاته أنّ الحريري حريٌّ بأن نَكتُبَ بالتبر مقاماته".

وقال ابن خلّكان: كان الحريري أحد أئمة عصره، ورُزق الحظوَة التامّة في عمل المقامات واشتملت على شيء كثير من كلام العرب، من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها، ومن عرَفها حقّ معرفتها استدلّ بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطّلاعه وغزارة مادّته".

اختلفت آراء العلماء والأدباء في أنّ مقامات البديع تفضل مقامات الحريري أو العكس، فيرى بعضهم أنّ مقامات البديع أفضل من مقامات الحريري. ويرى البعض الآخر أنّ مقامات الحريري تفضل مقامات البديعوذلك لأسباب ووجوه:

-مقامات الحريري أحفل وأجزل وأكمل دون مقامات الهمذاني، فإنّ في مقامات الهمذاني قلّة إمتاع للسامع من حديثها، لأنّ فيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطار أيضاً.

-في مقامات الحريري أنواع من البديع لَم يطرقها بديع الزمان الهمذاني، ومن هذه الأنواع الأحاجي والألغاز.

منامات الوهراني

هو أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني، الملقب بركن الدين، وقيل جمال الدين، أصله من وهران.

ولقد عرف عن سيرته أنّه زار دمشق في أيّام نور الدين محمود بن زنكي (المتوفى سنة 569 هـ) واتّصل به، وأنّه مر بصقلية، وزار مصر و بغداد ، ثمّ استقرّ به المقام بدمشق الّتي كانت قبلة الأنظار، تهوي إليها أفئدة الناس من كلّ حدب وصوب. وكان نور الدين شديد العطف على المغاربة، فوجه خطابة مسجد داريّا إلى الوهراني.

توفي بداريًّا سنة خمس وسبعين وخمسمائة (575هـ) أيّام صلاح الدين الأيوبي.

تـرك الـوهراني نصوصـا نثريـة في صـورة منامـات ومقامـات ورسائـل وخطـب، جمعـها كتابـه"جليس كـل ظريـف"، وقـد حقّقـه إبـراهيم شـعلان ومحمّـد نغـش تحـت عنـوان: "منامـات الـوهراني ومقاماتـه ورسـائله"، وراجعـه الـدكتور عبـد العزيـز الأهـواني، وصـدر عـن دار الكاتـب العربي في القاهرة عام 1968م.

-ابتـدع الـوهراني فـنّ المنامـات الأدبيـة، وقـد اشـتهر منامـه الكبـير الّـذي حـاكى فيـه أبا العـلاء المعـري في رسـالة الغفـران، قـال ابـن خلكـان: "ولـو لم يكـن لـه فيهـا إلا المنـام الكبـير لكفـاه، فإنّـه أتى فيه بكلّ حلاوة"...

-جمـع الـوهراني في المنـام ألـوانا مـن الأدب والمـزاح، فتخيّـل أنّـه رأى في المنـام كـأنّ القيامـة قامـت، ومنـاديا ينـادي: هلمّـوا إلى العـرض الأكـبر، فخـرج مـن قـبره حـتّى بلـغ أرض المحشـر، فوجد بها كثيرين ممّن عرفه وعاصره، فسخر منهم جميعا وذكر ما حوسبوا عليه.

-اختـار الـوهراني لنفسـه أسـلوب السـخرية والـتهكم في الكتابـة، وقـد جمـع في كتابـه "أنـيس كـلّ جلـيس" الكثـير مـن رسـائله ومناماتـه وفصـوله الهزليـة. كتـب علـى لسـان بغلتـه رسـالة إلى الأمـير عز الدين موسك ...

-كـان الـوهراني صـاحب دعابـة ومـزاح، خفيـف الـروح مقبـول الكـلام، قـال صـلاح الـدين المنجـد: "هـو ثاني اثنـين سـلطهما علـى أهـل دمشـق أيّام الأيـوبيين، ابـن عنـين في "مقـراض الأعراض " شعرا، وهو في "رسائله" و"منامه" نثرا."

-كتـب الـوهراني بأسـلوب نثـري مرسـل، حـاكى فيـه كتّـاب القـرن الرابـع الهجـري وسجـع المقامـات، ونأى بـه عـن صـنعة الهمـذاني والقاضـي الفاضـل، فجـاءت كتاباتـه عفويـة تتـدفّق بالحيوية.

-سخّر الوهراني قلمه للتشهير بكبار علماء زمانه من فقهاء وأدباء وأطباء وقضاة، كما فضح المتصوّفة والشيعة، وكشف ما يجري في الأوساط الدينية من التكسّب بالدين واختلاس الأموال والتلاعب بموارد الأوقاف.

المحاضرة الثامنة: كتابة الترسل

الرسائل فنّ أدبي ازدهر وانتشر في القرنين الثالث والرابع الهجريين بعدما بلغت الحضارة العربية الإسلامية قمّة العطاء في مختلف الميادين والمجالات. وهو فن نثري يُظْهِرُ مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية المنمّقة القويّة.

لم تكن الكتابة شائعة بين العرب في الجاهلية، ولهذا السبب لم يكن للرسائل دور في حياتهم الأدبية في ذلك العصر لقلّة الدواعي إليها، وإنّما ازدهر عندهم الشعر والخطابة والحكم. وبمجيء الإسلام تغيّرت الحال و ظهرت مفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل، فقد اتّخذ الرسول- صلى الله عليه وسلم- كُتَّابًا يكتبون له القرآن الكريم، ويكتبون رسائله الّتي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل، وزُعَماء المناطق، وملوك الدول و قد كانت الرسالة أوّل اتّصال بالعالم الخارجي للرسول الكريم و لم يكن لا الشِّعر و لا الخطابة قادرين على أداء الدور العملي الذي تؤديه الرسالة حين تنقل ما يتّصل بسياسة الدولة من مراسيم سياسية أو توجيهات أو تعليمات إدارية ومن هذا التاريخ نافس الكاتبُ الشاعرَ والخطيب وأصبح له منزلة خاصة.

نموذج: رسالة الرسول-صلّى الله عليه وسلّم-إلى ملك الروم

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّ عليك إثم اليريسيين (المتكبّرين-المتجبّرين).

يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بيتكم ألاّ نعبد إلاّ الله و لا نشرك به شيئا، ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّ مسلمون".

و استمرّ تشجيع الخلفاء الراشدين على تعلّم القراءة و الكتابة و اتّخذوا لهم كتّابا هم أيضاً يكتبون إلى الولاة وقادة الجيوش الفاتحة الّتي انتشرت في مختلف الأصقاع لنشر رسالة التّوحيد.

و رسائل صدر الإسلام عموما " غالبًا ما تبدأ بالبسملة ثمّ يأتي بعدها تعابير من قبيل :من محمد رسول الله أو من خليفة رسول الله ،أو من أمير المؤمنين .وقد تبدأ الرسالة باسم الرسول مباشرة مثل :"هذا كتاب من محمّد رسول الله ". وإذا كانت الرسالة موجّهة إلى مسلم فإنَّ خير ما تستهلّ به "سلام الله عليك ".أمّا إذا كانت موجّهة لغير المسلم فإنّ ما تستهلّ به هو "السلام على من اتّبع الهدى" و تأتي بعد السلام مباشرة التحميدات مثل :"فإني أحمد الله" أو "أحمد إليك الله الّذي لا إله إلا هو ." وقد يرد فيها ذكر التشهد أيضًا أو يكتفي فيها بعبارة : أمّا بعد.

نموذج: رسالة عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– إلى أبي موسى الأشعري حين ولاّه القضاء

"إن القضاء فريضةٌ مُحْكَمة، وسُنَّة مُتَّبَعة، فافهم إذا أُدليَ إليك، فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذ له، وآسِ بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حَيفِك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، والبيّنة على مَن ادَّعى، واليمين على مَن أنْكَرَ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالًا، ومَن ادَّعى حقًّا غائبًا أو بيّنَة، فاضرب له أمدًا ينتهي إليه، فإن جاء ببيّنَة أعطيته بحقِّه، فإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإنّ ذلك أبلَغُ في العذر وأجلى للعمى، ولا يمنعك من قضاءٍ قضيته اليوم فراجعتَ فيه رأيَك، وهُديت لرشدك – أن تراجع الحقَّ، فإنّ الحقَّ قديم لا يُبطل الحقَّ شيءٌ، ومراجعة الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل.

والمسلمون عُدُول بعضهم على بعض في الشهادات، إلا مجلودًا في حَدٍّ، أو مدرك عليه شهادة الزور، أو ظنينًا في ولاء أو قَرابة، فإن الله عز وجل تولَّى من العباد السرائر، وسَتَرَ عليهم الحدود إلا بالبيّنات والأيمان.

ثم الفَهمَ الفهمَ فيما أُدلي إليك مما ليس في كتابٍ أو سُنَّة، ثم قايسِ الأمورَ عند ذلك، واعرف الأمثالَ والأشباهَ ثمّ اعمد إلى أحبّها إلى الله فيما ترى وأشبهِها بالحقِّ.

وإيّاك والغضبَ والقلقَ والضجرَ والتأذِّي بالناس عند الخصومة والتنكُّ، فإنّ القضاء في مَواطِن الحقِّ يُوجب اللهُ به الأجر، ويحسن به الذُّخر، فمَن خلصت نيَّتُه في الحقِّ ولو على نفسه، كفاه اللهُ ما بينه وبين الناس، ومَن تزيَّن لهم بما ليس في قلبه شانه اللهُ تعالى، فإنّ الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد إلاّ ما كان له خالصًا، وما ظنُّك بثوابِ الله في عاجل رِزْقه وخزائنِ رحمته؟ والسلام عليكم ورحمة الله."

فنّ الترسّل في العصر الأموي

عندما آل الحكم إلى بني أميّة وأراد معاوية بن أبي سفيان أن يطوّر شؤون الدولة الإسلامية؛ أنشأ ديوان الرسائل، وهو ديوان يعنى بشؤون المكاتبات الّتي تصدر عن الخليفة إلى ولاّته وأمرائه وقادة جنده وملوك الدول الأخرى. وقد كان الخليفة في بداية الأمر هو الّذي يُملي الرسائل على كاتبه، ثمّ بمرور الزمن أخذ الكاتب يستقلّ بكتابة الرسائل، ثمّ يعرضها على الخليفة وكان أسلوب الرسائل آنذاك تغْلبُ عليه البساطة والوضوح، ويخلو من التأنق والتصنّع كما حدث ذلك لاحقا و شهد فنُّ الكتابة نقلةً كبيرة في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولىّ مولاه سالم رئاسة ديوان الرسائل في عهده، ثمّ في عهد مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، الّذي تولىّ أمر ديوانه عبد الحميد بن يحي الكاتب.

وقد عُرِف عبد الحميد بالبراعة في فنّ الترسّل حتّى غدت مكاتباته مضرب المثل في الجودة والإتقان، حتّى قيل: "بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد".

ومـن رسـائل عبـد الحميـد المشـهورة رسـالته الـتي كتبهـا عـن مـروان إلى ابنـه وولي عهـده عبـد الله حـين وجهـه إلى محاربـة الضـحاك بـن قـيس الشـيباني الّـذي ثار في العـراق، ورسـالته الّـتي وجّههـا إلى عمّـال مـروان بـن محمـد بالأمصـار يأمـرهم بمحاربـة لعبـة الشـطرنج، ورسـالته الّـتي وجّههـا إلى الكُتَّاب وأصبحت دستورًا لمهنة الكتابة.

نموذج: مقتطفات من رسالة عبد الحميد إلى الكتّاب

أمّـا بعـد حفظكـم الله يا أهـل صـناعة الكتابـة وحـاطكم ووفقكـم وأرشـدكم فـإنّ الله عـز وجـل جعـل النـاس بعـد الأنبيـاء والمرسـلين –صـلوات الله وسـلامه علـيهم أجمعـين– ومـن بعـد الملـوك المكـرمين أصـنافا وإن كـانوا في الحقيقـة سـواء، وصـرفهم في صـنوف الصـناعات وضـروب المحـاولات إلى أسـباب معاشـهم وأبـواب أرزاقهـم، فجعلكـم معشـر الكتّـاب في أشـرف الجهـات أهـل الأدب والمـروءات والعلـم والرزانـة، بكـم ينـتظم للخلافـة محاسـنها وتسـتقيم أمورهـا وبنصـحائكم يصـلح الله للخلـق سـلطانهم وتعمـر بلـدانهم لا يسـتغني الملـك عـنكم ولا يوجـد كـاف إلا مـنكم فمـوقعكم مـن الملـوك موقـع أسمـاعهم الـتي بهـا يسـمعون وأبصـارهم الـتي بهـا يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون ...

فـإنّ الكاتـب يحتـاج في نفسـه ويحتـاج منـه صـاحبه الـذي يثـق بـه في مهمـات أمـوره أن يكـون حليمـا في موضـع الحلـم فهيمـا في موضـع الحكـم مقـداما في موضـع الإقـدام محجمـا في موضـع الإحجـام مـؤثرا للعفـاف والعـدل والإنصـاف كتومـا للأسـرار وفيـا عنـد الشـدائد عالمـا بمـا يأتي مـن النـوازل يضـع الأمـور مواضـعها والطـوارق في أماكنهـا قـد نظـر في كـل فـن مـن فنـون العلـم فأحكمـه وإن لم يحكمـه أخـذ منـه بمقـدار مـا يكتفـي بـه يعـرف بغريـزة عقلـه وحسـن أدبـه وفضـل تجربتـه مـا يـرد عليـه قبـل وروده وعاقبـة مـا يصـدر عنـه قبـل صـدوره فيعـدّ لكـلّ أمـر عدّتـه وعتـاده ويهيّـيء لكـلّ وجـه هيئتـه وعادتـه فتنافسـوا يا معشـر الكتّـاب في صـنوف الآداب وتفقهـوا في الـدين وابـدأوا بعلـم كتـاب الله عـز وجـل والفـرائض ثم العربيـة فإنهـا ثقـاف ألسـنتكم ثم أجيـدوا الخط فإنه حلية...

وإياكم والكبر والسخف والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة، وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالّذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم ...

فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه، فإنّ ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للتشاغل عن إكثاره، وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه....

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فنّ الترسّل في العصر العباسي

عندما قامت الدولة العباسية أخذ خلفاؤها هم الآخرون يولون كتابة الرسائل عناية أكثر من سابقيهم، ولهذا السبب كثر الكُتَّاب، ونبغ كثير منهم في فنّ الترسل، وازداد التّنافس بينهم بعدما أصبح العمل في ديوان الرسائل مصدر رزق لهم، وغدا التفوّق في فنّ الترسل وسيلة للحصول على ولاية أحد الأقاليم، بل إنّه غدا مؤهِّلاً للوصول إلى منصب الوزارة، من هؤلاء: يحيى بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأحمد بن يوسف الكاتب، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وعبد العزيز بن يوسف، وضياء الدين بن الأثير وغيرهم ممن أوصلتهم هذه الصنعة وهذا الفن إلى ما كانوا يطمحون إليه من نيل لأعلى المناصب فقد كان لا يصل إلى تولّي ديوان الرسائل إلاّ من حسنت سيرته وذاعت شهرته و كان فارس بلاغة و صاحب إتقان و جودة في تدبيج و تطريز الرسائل .

المحاضرة التاسعة: أنواع الرسائل

أ. الترسل الديواني:

تسمّى الرسائل الّتي تصدر عن ديوان الرسائل، الرسائل الديوانية نسبة إليه، فالخليفة أو الأمير يوجّهها إلى ولاّته وعمّاله وقادة جيوشه، بل إلى أعدائه أحيانًا منذرًا متوعّدًا.

و تتنوعّ هذه الرسائل، فهي تشمل: الرسائل الّتي تصدر مشتملة على تولية العهد، وتولية القضاة، والولاة، وما يتذصل بأمور الرعية. كما أنّها تشمل أيضا الرسائل الّتي تكتب عن الخليفة أو الملك أو الوزير إلى من هو مثله من أجل التهنئة أو البشارة أو المعاتبة أو التعزية وما أشبه ذلك.

ومن أنواع الرسائل الديوانية أيضا رسائل الجهاد الّتي يوجّهها الخلفاء إلى قوّادهم يكلّفونهم فيها بالغزو ويزيّنون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، واعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية، فكان الكاتب يضمّنها الآيات الّتي تتحدّث عن تكاليف الجهاد باعتباره فريضة شرعها الله لحماية دينه وإعلاء شأنه، كما كانت تتحدّث عمّا ينتظر المجاهدين من ثواب و نعيم في الدارين .

كما كانت مبايعة الخلفاء من الموضوعات التي تناولتها الرسائل الديوانية، و قد مالت كتب المبايعات إلى الإطناب و التطويل، و يتّصل بهذا اللون من الرسائل ما كتبه كتاب الدواوين في التهاني بما تحقّق من فتوحات و ظفر على أعداء المسلمين، و كان استهلال رسائل التهنئة بالفتوحات سنة متبعة بين الكتاب حتّى لتكاد تقترب في هذه السمة من الخطابة الدينية الّتي تجري على طريقة استخدام التحميدات والإكثار منها.

ويتصل بالرسائل الديوانية ما كان يكتبه الكتاب إلى الولاة بتوجيهات من خلفائهم يذكرونهم فيه بمسؤوليتهم في المحافظة على الأمن ومتابعة شؤون وأحوال الرعية و العمل على استقرار الأمور .

ب–الترسل الإخواني :

وهو الذي يتبادله الإخوان والأصدقاء فيما بينهم في المناسبات المختلفة الخاصّة منها و العامّة كالتهنئة، والتعزية والبشارة والعتاب، وغير ذلك من أمور الحياة يعبّر بها كاتبها عن الشوق و الحنين للأهل و الأصحاب.

تـدور أغلـب موضـوعات الترسّـل الإخـواني حـول الجانـب الإنسـاني ومـا يـرتبط بـه مـن صـداقة وأخوّة وعواطف نبيلة،

فقـد عـبرّ الكتّـاب في رسـائلهم عـن هـذه العاطفـة الإنسـانية النبيلـة، وأشـادوا بـروابط الإخـاء والمـودّة الّـتي تنعقـد بيـنهم. ومـن الجوانـب الّـتي طرقهـا الترسـل الإخـواني: الشـكر إلى إخـوانهم لمعـروف أسـدوه إلـيهم أو خـير اختصّـوهم بـه أو معـروف أحـاطوهم بـه، كمـا تناولـت موضـوع الاعتـذار باعتبـاره يمثّـل صـورة مـن صـور العلاقـة المتبادلـة بـين الكتّـاب، وطـوّع الكتّـاب الرسـالة الإخوانيـة لموضـوعات أخـرى كالوصـايا و التشـفّع، وكانـت التهـاني مـن الموضـوعات الّـتي شـغلت مسـاحة مـن الرسـائل الإخوانيـة فكثـرت التهـاني بالولايـة وغيرهـا مـن المناسـبات الاجتماعيـة السـارة كـالزواج و الإنجـاب و العـودة مـن السـفر و عكسـت هـذه الرسـائل عمـق العواطـف المتبادلة بين الكتاب .

ج–الرسائل الوعظية:

وهنـاك رسـائل أخـرى ليسـت ديوانيـة ولا إخوانيـة وإنّمـا هـي رسـائل وعظيـة، و يقصـد بهـا تلـك الرسـائل الّـتي يكتبهـا بعـض الأتقيـاء إلى الخلفـاء والسـلاطين والأمـراء يحثّـونهم علـى الصـلاح والتقوى والرأفة بالرعية، والاستعداد للموت، وما أشبه ذلك.

د–الرسائل التعليمية:

هـي رسـائل خُصِّصـت للحـديث عـن بعـض الموضـوعات الأدبيـة أو العلميـة أو الدينيـة أو التاريخيـة، وهـذا النـوع مـن الرسـائل يـدخل في باب التـأليف ولا يـدخل في باب الترسـل، ومـن أمثلتـه الرسـالة القشـيرية في التصـوف وبعـض رسـائل أبي العـلاء المعـرّي، مثـل رسـالة الغفـران. وقـد عُـرف هـذا اللـون بالرسـائل الأدبيـة، وكـان الجـاحظ أمـير بيانـه مـن غـير منَـازع. وتُعَـدُّ رسـالته التربيـع والتـدوير الّـتي كتبهـا في هجـاء أحمـد بـن عبـد الوهـاب أشـهر الرسـائل الأدبيـة إذ فتحـت البـاب لمـن جـاء بعـده مـن الكتّـاب للإبـداع في هـذا اللـون مـن الترسّـل في المشـرق والمغـرب

والأنـدلس علـى السّـواء. وهـذا النـوع مـن الرسـائل أشـبه مـا يكـون بالمقـالات في العصـر الحـديث، و فيهـا يتنـاول الكاتـب موضـوعًا خاصًـا أو عامًـا تنـاولاً أدبيًـا، مبنيـا علـى إثارة عواطـف القـارئ و مشـاعره، وهـي لا توجّـه إلى شـخص بذاتـه، و إنّمـا يكتبهـا الكاتـب ليقرأهـا الناس جميعًا.

البناء الفنّي للرسالة.

أ-الاستفتاح

كانـت الرسـائل النثريـة غالبـا مـا تسـتفتح بالبسـملة والتحميـد والصـلاة علـى رسـول الله، أو مبتدئـة بالـدعاء للمرسـل إليـه وذكـر اسمـه وتعـداد مناقبـه بمـا يتناسـب ومـن يكتـب إليـه، أمـيرا أو وزيـرا أو صـديقا، مـن ذلـك قـولهم: أطـال الله بقـاء سـيّدي ومـولاي الجليـل القـدر، سماحـة الشـيخ الجليل حفظه الله ورعاه...

ب- المقدّمة

وفيهـا بعـبّر الكاتـب عـن عاطفتـه نحـو المرسـل إليـه إمّـا بالـدعاء لـه أو بإقرائـه السـلام أو غـير ذلك ممّا يلائم الموضوع والشخص المكتوب إليه.

ج-المقصد والغاية(الفرض)

وهـو جـوهر الرسـالة، و يتنـاول ذكـر الغـرض الـرئيس الّـذي مـن أجلـه وضـعت الرسـالة، وينبغـي غيه عدم الإسهاب و الاقتصار على تفصيل هذا الغرض بالذات.

د-الخاتمة

وبهـا يختـم الكاتـب رسـالته بطريقـة مماثلـة لمقدّمـة الرسـالة، أي بعبـارات تؤكّـد العواطـف والأفكـار الّـتي جـاءت في صـلب الرسـالة. ومـن صـور الختـام: "السـلام علـيكم ورحمـة الله وبركاتـه"، "والله تعالى جعلنا وإيّاكم ممّن شكر النعمة وآثر العمل الصالح..."

ومـن آداب الرسـالة أن تـذيّل بتوقيـع المرسـل وأن يعـيّن فيهـا تاريـخ كتابـة الرسـالة وأن يـذكر عنوان المرسل بوضوح.

شروط الرسالة

أ-البساطة: أي أن تكون الرسالة خالية من التكلّف بعيرة عن الزخرف.

ب-البيان: أي أن تكون عبارات الرسالة واضحة ليس فيها غموض أو إبهام.

ج-الإيجـاز: أي عـدم الإسـراف في القـول أو الإسـهاب فيـه، لأنّ إطالـة الرسـالة قـد يخـرج بهـا عن الغرض الّذي وضعت لأجله.

د-الملاءمـة: وتعـني مراعـاة منزلـة المرسـل إليـه وعلاقتـه بالمرسـل، بحيـث يكـون أسـلوب الرسـالة ملائما لمكانة المرسل إليه ودرجة معرفته.

هـ-جـودة التعبـير: وذلـك بأن يكـون الأسـلوب مشـرقا لتنـزل الرسـالة منزلتهـا الحسـنة غـي نفـس المرسل إليه.

المحاضرة العاشرة: أدب الرحلة

يعـدّ أدب الرحلـة مـن أقـدمِ أنـواع الأدب المعروفـة عنـد العـرب، وقـد اهتمّـوا بهـذا النـوع مـن الأدب اهتمامـاً واضـحاً، فـتمّ تسـييرُ العديـد مـن الـرحلات الاستكشـافيّة للتعـرفِ علـى المنـاطقِ، والبلـدان المحيطـة بهـم، ويعتـبر كـلٌّ مـن الإدريسـي، والمسـعودي، وابـن بطوطـة، وابـن فضـلان، وابـن جبـير مـن أشـهر الرحّالـة العـرب الّـذين اهتمّـوا بتوثيـق رحلاتهـم، وكتابـة القصـص الّـتي حصـلت معهـم في الأمـاكن الّـتي ذهبـوا لهـا، ومـنهم مـن اهـتمّ بجغرافيّـة تلـك الأمـاكن فعمـل علـى رسم الخرائط الّتي تقدّمُ وصفاً للتضاريس الجغرافية الّتي تعرّفوا عليها.

تاريخ أدب الرحلة

يعدُّ القرن السادس الهجري من أكثر القرون العربية والإسلامية الّتي شهدتْ نهوضاً ملحوظاً بأدبِ الرحلة، فقد احتوى على العديد من قصص الرحلات الّتي ألّفها الرحالة العرب ممّن خرجوا من الجزيرة العربية لاكتشاف المناطق المحيطة بهم، أو الّذين كانوا يسافرون من بلاد شمال إفريقيا والأندلس إلى الجزيرة العربية بهدف الحج والتعرّف على الحضارة العربيّة الموجودة في تلك المنطقة. كما شَهِدَ القرن الحادي عشر للهجرة العديد من قصص الرّحلات الّتي تمكّنَ فيها الرحّالة العرب من الوصول إلى الكثير من المناطق الّتي لم يكتشفها أيّ أحدٍ من قبلهم، وأيضاً احتوى على مجموعةٍ من الرحلات الّتي توثّقُ للعديد من الأحداث التاريخيّة المهمّة، ومن أهمّها رحلة أحمد الحجري المعروف باسم أفوقاي الّذي هربَ من الأندلس بعد سقوطها، وقام بتوثيق ما حدث من محاكم تفتيشٍ، والعديد من المشاهدات الأخرى الّتي جمعها في كتابه حول هذه الرحلة.

و عموما فقد نشط وانتشر هذا النوع من الآداب على أيدي المستكشفين والجغرافيين وغيرهم الّذين كان لديهم اهتمام كبير جداً في نقل كلّ ما عاشوه وعايشوه وعاصروه من أحداث ومواقف، وقد بالغوا في بعض الأحيان في وصفهم حتّى وصلوا إلى درجة الخرافة في بعض الأحيان، ممّا يقودنا إلى نوع آخر من أدب الرحلات والذي أصبح بعضها بمثابة أيقونات أدبية تعطي فكرة عامة عن جو الحضارة، فمثلاً هناك السندباد الّذي اشتهر عند العرب، وحي بن يقظان والأوديسا وجلجامش ورسالة الغفران وأبو زيد الهلالي وغيرها الكثير من الملاحم الأدبية، وقد صنفت هذه الحكايات الخيالية على أنّها نوع من أنواع أدب الرحلات لأنّ البطل فيها هو الّذي يذهب ويسافر ويتنقل ويرتحل من مكان إلى آخر.

خصائص أدب الرحلات

يتميّز هـذا الفـن الأدبي عـن غـيره مـن الفنـون الأدبيّـة الأخـرى بوجـود مجموعـة مـن الخصـائص، وتجلّـت هـذه الخصـائص فيمـا ورد عـن أدباء الـرحلات مـن مؤلّفـات كتبوهـا عنـد زيارتهـم لـبعض البلدان، ومن أهمّ هذه الخصائص ما يأتي: *الاعتماد على الحوار .

*استخدام الأسلوب القصصيّ .

*الاعتماد على الوصف بشكل كبير لإيضاح تفاصيل الأماكن الّتي تتمّ زيارتها .

*خلط الجدّ بالهزل وشيوع عنصر الفكاهة في النصوص الأدبية للرحلات.

*تضـمين الشـعر وبعـض آيات القـرآن الكـريم في نصـوص الـرحلات ليـتمّ مـن خلالهـا التأكيـد على ما يصفه الكاتب.

و هكـذا يمكننـا أن نعتـبر أدب الرحلـة صـورة قديمـة للقصّـة بحيـث توجـد فيـه عناصـر أساسـية مثـل السـرد، والحـوار، والوصـف وغيرهـا وهـو يجمـع بـين المتعـة والفائـدة. ووجـود النزعـة القصصـية في أدب الرحلـة أمـر طبيعـي، فالرحلـة ومـا يتخلّلهـا مـن حـوادث ومواقـف تسـتحثّ الرحّالـة علـى التسـجيل، وصـياغة هـذه الحـوادث في أسـلوب قصصـي يعتمـد إثارة التشـويق في كثـير مـن الأحيـان، فقـد جـنح بعـض الرحّـالين إلى سـرد القصـص الّـتي عاشـوها أو سمعـوا بهـا، وكـان سـردهم لهـذه القصـص بعفويـة وحيويـة، قرّبـت الرحلـة مـن عـالم القصّـة، وإلى جانـب السـرد نجـد حضـور الوصـف الـدقيق والبـارع في معظـم الـرحلات، وهـذا الّـذي قـرّب أدب الرحّالـة إلى أسلوب القاص.

ولم يقـترب أدب الرحلـة مـن فـنّ القصـة فحسـب، بـل اشـتمل علـى جميـع الفنـون الأدبيـة، فكثـيرا مـا يلجـأ الرحّالـة إلى الاستشـهاد بأبيـات شـعرية تـبرز أدبيتـه، سـواء كانـت مـن نظـم الرحّالـة نفسـه وهـذا يثبـت قدرتـه الشـعرية والنثريـة معـا، وأحيـانا أخـرى يسـتعين بأبيـات غـيره ممّـا يؤكّـد سـعة اطّلاعـه ودقّـة معلوماتـه. وقـد كـان بعـض الرحالـة شـعراء فـدفعهم ذلـك لقولـه في المواقـف

المختلفة أثناء رحلتهم، ولاسيما عند فراقهم لموطنهم، وتوديعهم للأهل والأصحاب، وعند ملاقاة العلماء أو الحنين للوطن وربوعه...

كتّاب أدب الرحلة

لا شكّ أنّه ما إن يأتي ذكر الرحلة وأدبها حتّى يقفز إلى الذهن اسم أحد روادها وكتّابها العرب الأوائل وهو الرحّالة المغربي الشهير "ابن بطوطة" الّذي يعدّ أوّل من فتح هذا الباب من الكتابة الأدبية ووضع له خطوطًا عريضة في كتابه الذي سمّاه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" والمعروف باسم "رحلات ابن بطوطة."

وقد ظلّ هذا الكتاب لفترة طويلة أحد مصادر الكتابة العربية في الرحلة، وملهمًا ومحفزًا للكثير من الكتّاب لكي يكتبوا هذ النوع الفريد من الكتابة الأدبية، الّذي يرصد فيه الكاتب خلال رحلاته كلّ غريب وعجيب بين مدن العالم الّتي زارها وتعرّف عليها ناقلاً تلك الخبرات والمعارف لغيره من القرّاء.

كما أنّ هناك العديد من المؤلّفات الّتي تناولت أدب الرحلات، حيث عمد مؤلّفوها إلى ذكر صفات مجموعة من البلدان الّتي زاروها، وتعدّ كتب الأدب الخاصة بالرحلات من المراجع الجغرافية كما أنّها مراجع تاريخية مهمّة، إذ أنّها تصف وبشكل دقيق جداً التفاصيل الّتي عاشها وعاصرها الرحّالة خلال سفره عدا عن الناحية الاجتماعية. ومن هنا أيضاً استمدّت كتب الرحلات متعتها حيث أنّ كلّ من يقرأ كتب الرحلات يشعر بالمتعة الكبيرة وكأنّه عاش في تلك المدينة في تلك الفترة، فهي بمثابة فيلم سينمائي مصوّر تصف بشكل دقيق كافة التفاصيل لاسيما إن امتلك الكاتب أسلوباً أدبياً شيقاً في الكتابة. ومن أهمّ كتب هذا الفن الأدبي ما يأتي:

*عجائب البلدان: لأبي دُلَف الينبوعي (305- 385هـ)

*المعرب عن بعض عجائب المغرب: لأبي حامد الغرناطي (473 - 565هـ)

*عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: (605 - 682هـ)

*خريدة العجائب وفريدة الغرائب: لابن الوردي (المتوفي في 749هـ)

*تحفة النظّار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار: لابن بطوطة (703 - 776هـ).

المحاضرة الحادية عشر: أدب التصوّف

الأدب الصوفي هو الأدب -شعر ونثر-الّذي اتّجه فيه الزاهد والصوفي بمختلف اتجاهاته الفنّية والفلسفية يبحث في النفس الإنسانية بعمق فلسفي يسعى لتطهير النفس والروح من حبّ الدنيا وزينتها وإدخال الطمأنينة إليها، ويطرح في أكمل صوره الفنية التجريدية كوامن النفس من حبّ وجمال وقيم أخلاقية ومعرفة. والأدب الصوفي نتاج رافدين. رافد سامي ويمثّله الأدب العربي الصوفي، أمّا الرافد الآري ويمثّله الأدب الصوفي الفارسي.

والتصوّف ونظرا لأهمّيته في الأدبين الفارسي والعربي، فقد قدّم نصوصا خالدة فيها التنوّع والغنى، حيث اتّصل هذا الأدب بالحياة الروحية والعقلية، ومن نتاجه الحكمة الصوفية والعرفان والغزل الصوفي والشعر. ومن هذا المنظور فإنّ الأدب الصوفي ثقافة إنسانية تعدّت الثقافة الإسلامية إلى ثقافات أجنبية بحكم تواجده في الديانات المسيحية واليهودية، وهذا راجع إلى الاختلاط الحضاري بين المجتمعات.

تطوّر مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال مالك بن دينار وإبراهيم بن أدهم وغيرهما إلى مفهوم لم يكن عند الزهاد السابقين من تعذيب النفس بترك الطعام وتحريم تناول اللحوم، والسفر في البراري والقفار والهيام في الصحاري وترك الزواج.

ظهر مصطلح التصوّف والصوفية في الكوفة بسبب قربها من بلاد فارس والتأثّر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة. أمّا في القرن الثالث والرابع الهجري فقد ظهر عدد من المنتسبين إلى التصوّف، فمنهم من غلب عليه الاستقامة في العقيدة، ومنهم من انتقل الزهد على أيديهم من الممارسة العلمية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمّل التجريدي والكلام النظري، وهناك فئة أخرى اختلط فيها التصوّف بالفلسفة اليونانية، وظهرت وحدة الوجود موافقة لقول الفلاسفة.

تاريخ نشأة الأدب الصوفي

قسّم الأدب الصوفي إلى ثلاثة أزمنة من حيث ظهوره التاريخي :

1-قسم يبدأ من ظهور الإسلام وينتهي في أواسط القرن الثاني للهجرة: ومن ثماره مجموعة كبيرة من الحكم والمواعظ الدينية والأخلاق الّتي تحثّ على الفضائل وتدعو إلى التمسّك بالقدر وبأحكام الله، وإلى الزهد والتقشّف والعبادة والورع.

2-قسم يبدأ من أواسط القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع. وفيه تظهر جليّا ثمرة التزاوج بين الجنسين العربي والأجناس الأخرى، وفيه يظهر أفق التفكير اللاهوتي.

3-قسم يبدأ من القرن الخامس ويستمرّ حتى نهاية القرن السابع وأواسط القرن الثامن، وهو بمثابة العصر الذهبي في الأدب الصوفي. فلقد امتاز بغنى شعره وفلسفته بحيث اعتبر شعره من أرقى وأغنى ضروب الشعر، وهو سلس وواضح، كما تطوّر الأدب الصوفي نثرا وشعرا وبلغ الشعر الصوفي مع ابن العربي في الشعر العربي وجلال الدين الرومي في الشعر الفارسي الذروة، أمّا فيما يخصّ القرنين الأوّل والثاني، فأغلبه نثر، وفيه يبدأ تكون الاصطلاحات الصوفية والشطحات.

منهج الصوفية المتقدّمين:

تميّز منهجهم في مجمله بالتعويل على الكتاب والسنة، واعتبارهما مصدري التلقّي والاستدلال الوحيدين، ومن بينها ما قاله سليمان الداراني " ربّما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أيّاما فلا أقبلها إلاّ بشاهدين عدلين الكتاب والسنة." وقال أبو القاسم الجنيد "مذهبنا هذا مقيّد بالأصول الكتاب والسنة." وقال أيضا "علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقّه لا يقتدي به." وفي ذلك قول لسهيل بن عبد الله التستري "مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال".

قضايا الأدب الصوفي:

– قضية الشعر والنثر:

الملاحظ أنّ فنّ النثر كان مهمّشا في النقد العربي القديم، وذلك راجع إلى أنّ الثقافة الرسمية السائدة كانت مرتبطة بالشعر أكثر من النثر. وهذا الصّراع في تفضيل فنّ على آخر أدّى إلى انقسام النص الإبداعي إلى اعتبار المعنى محور اهتمام النثر، بينما اللفظ محور اهتمام الشعر .

والاهتمام الموجّه للشعر لا يعني رفضهم النثر جملة وتفصيلا وإنّما أولوه جانبا من الاهتمام. فقد قاربوا العديد من القضايا النقدية المتعلّقة به ووضعوها محلّ اهتمامهم مثل أدب الرسائل والبلاغة النثرية والمفاضلة بين الشعر والنثر والرسائل والخطب...و ممّا ترتّب عن الفصل بين اللفظ والمعنى غلبة ظاهرة اللفظية على التراث الأدبي والنقدي معا.

– أمّا من ناحية التنظير للبلاغة والبيان فإنّ كتب النقد القديم تعجّ بالتنظير العلمي للبلاغة والبيان وبتقديم تعريفات لكلاهما وبتقديم تصوّرات للكلام الأفضل والأجود وتقرير

أصولها ومدارسها بين الطبع والصنعة، وبالحديث عن قضايا أسلوبية بديعية وبيانية ومبادئ العمل بفروع هذين العلمين وكيفية تحديد خصائص أسلوبية وجمالية في الكلام، إلى جانب إثارة مسائل وقضايا بلاغية ورؤية عن نضج العمل البلاغي والبياني، ومن بين الجهود الّتي بذلت في هذا المجال نذكر الجاحظ والجرجاني والقرطاجني، وابن كثير وغيرهم.

ومن أبرز القضايا النقدية المعروفة قضيّة الحبّ وقضية المعرفة، حيث تتداخلان معا لأنّ المعرفة الصوفية هي معرفة القلب. وتتداخل قضية الحبّ وقضيتي الكمال والخيال، لأنّ الخيال يعطي تصوير للمحبوب في أبهى الصفاة وذلك بجمال وجلال وكمال. إلى جانب كون الخيال قضية معرفية هي الأخرى تتصدّى لابتكار المثل الأعلى.

- أمّا الجدل فهو القضية الأكثر تعبيرا عن المعاناة الصوفية، إلى جانب مجموعة من الثنائيات كثنائية:" الموت والحياة" و" العقل والقلب" و" الظاهر والباطن."

ومن خلال ذلك فإنّ النثر الصوفي حقّق درجة الاتّحاد بين اللفظ والمعنى، فاللفظ ليس مجرّد أداة توصيل، بل هو مستوى تعبير يناظر الشحنة النفسية والروحية في الأحوال والمقامات الصوفية، ولأنّ التجربة الصوفية تجربة في اكتشاف معنى الكون والوجود. فالصوفي يكتشف لكلّ شيء معنى، ويغدو اللفظ معنى أوّلا في داخله معان كثيرة هي وليدة معنى المعنى، حيث خلّص الصوفيون مفهوم المعنى من جموده وضرورة اكتشاف المناطق الغامضة في المعنى للوصول إلى معنى المعنى وبالخصوص التخلّص من سلطة اللفظ.

- أمّا الرمز في النثر الصوفي فهو الآخر قضية تعبيرية وأسلوب للتعبير الأمثل عند المتصوّفة، والّذي ترى فيه الصوفية المخرج لطرح أفكارهم الجديدة. ومن أبرز خصائصه أنّه قد يكون رمزا لنقيضه مثل الموت رمز للحياة لأنّ الموت عندهم حياة أخرى.

والرمز الصوفي ثلاثة أنواع هي الرمز الحسّي والرمز المجازي والرمز الذهني. وعلى الرغم من تنوّع الرموز الصوفية، فالرمزان الذهني و المجازي هما الأقرب إلى طبيعة التجربة الصوفية، لأنّها تجربة في عالم الشعور والمعنى والخيال.

وبالتّالي النثر الصوفي إبداع أخذ من الموهبة والتأمّل، فلا تكلّف فيه لأنّه التجربة ذاتها الّتي يصفها وهي تجربة نفسية تنشد الكشف عن دواخلها وهي الّتي تبتكر لغتها الغامضة والمجرّدة للتعبير عن رؤاها.

المحاضرة الثانية عشر: قضايا ومصادر الأدب الصوفي في المغرب العربي

تلقّى أدب الزهد بالمغرب الأوسط دفعة قويّة على يد النزلاء من الزهاد الأندلسيين، فقد أسّس أبو عبد الملك بن محمد الاندلسي الزهدي رباط درس فيه العلم، أطّر فيه نشاطه وصنّف المصنّفات. وأدب الزهد والتصوّف الّذي ظهر في مدينة القيروان قبل انحطاطها (خرابها) من قبل القبائل الهلالية، كما استمدّ أفكاره أيضا من قرطبة والبصرة وبغداد والحجاز، ونتيجة لهذا الاختلاط ظهر على المستوى العلمي تياران :

الأوّل: هو التيار الّذي يعتمد على منهج المجاهدة العلمية من خلال البقاء في الثغور والسواحل للحفاظ على سلامتها وحراستها من خطر المسيحيين.

أما الثاني: فقد التزم أصحابه الزهد في الدنيا وترك ملذّاتها والاعتكاف وبذل النفس في المجاهدة والحرص على نشر العلم الّذي يعدّ الزهد محورا مهمّا من محاوره الأساسية.

ولم يكن الزهد -إلى غاية النصف الأوّل من القرن(6 هـ /12م)- يرقى في نصوصه المنظومة والمنثورة إلى مستوى يسمح بوضعه ضمن أدب التصوّف، إلاّ بعد أن شهد المغرب الأوسط خلال النصف الثاني من القرن نفسه دخول مجموعة من المصنّفات الصوفية المشرقية والأندلسية والمغربية، وهذا في فترات يصعب تحديدها وضبطها ضبطا دقيقا مع العلماء العائدين من المشرق أو بواسطة صوفية المغربين الأدنى والأقصى.

ومـن بـين أهـمّ المصـادر الّـتي اسـتقى منهـا المتصـوّفة زادهـم و نهـل منهـا أدب التصـوّف أفكـاره، كتـاب "قـوت القلـوب" لأبي طالـب المكـي (ت 3هـ 9م)، وكتـاب "إحيـاء علـوم الـدين" لأبي حامـد الغـزالي (ت505هـ 1111م) ، إضـافة إلى كتـاب" الرعايـة لحقـوق الله" للحـارث بـن أسـد المحاسـبي (243هـ 858م) ،وهـذا الأخـير عبـارة عـن مصـنّفات في التصـوّف السـني تبـيّن جملـة مـن الخطـوات الّـتي يسـير وفقهـا السـالك، بواسـطة المجاهـدات للوصـول إلى الخـلاص والنجـاة مـن عقـاب الله كمـا حـدّدها المحاسـبي. والّـتي تهـدف إلى تهـذيب الـنفس وتقويمها عن طريق الرياضة والإدارة والصرامة للبلوغ بها منزلة الأنبياء والصدّيقين والصالحين.

إلى جانـب الكشـف عـن عـالم الغيـب، وهـي مرحلـة فـراغ القلـب عمّـا سـوى الله كمـا هـو موجـود في الرسـالة القشـيرية، وإحيـاء علـوم الـدين. وبهـذا أصـبحت هـذه المصـنفات في النصـف الثـاني مـن القـرن5هـ/ 11م متداولـة بـين القـرّاء بتلمسـان وبجايـة وقلعـة بـني حمّـاد، ومـن خـلال ذاك قـام الصـوفي عبـد السـلام التونسـي بالتـدريس برابطتـه بتلمسـان " رعايـة" المحاسـبي، ويـدعو في أوائـل القـرن (6هـ و12م) إلى قـراءة "إحيـاء علـوم الـدين". وكانـت لـه بصـمته في ذلـك، حيـث حـاول تبيـان مـدى أهمّيـة الإحيـاء وقيمـة أفكـاره الصـوفية، وبهـذا شـرع التلمسـانيون في نسخ "الإحياء" وحفظه.

كمـا انتسـب الصـوفي أبـو الفضـل إلى النحـوي بقلعـة بـني حمّـاد مدرسـا "للإحيـاء" الّـذي استنسـخه إلى ثلاثـين جـزء، وهكـذا هـو الحـال في بجايـة الّـتي حـلّ بهـا أبـو مـدين شـعيب ومكـث بهـا خمسـة عشـرة عامـا جعـل مـن كتـاب " إحيـاء علـوم الـدين" أفضـل كتـب التـذكير لديـه وأكثرهـا قـراءة في مجلـس تـذكيره، كمـا درّس " الرسـالة القشـيرية" وأطلـع الطلبـة علـى "رعايـة" المحاسـبي، بينمـا معاصـره أبـو الحسـن بـن علـى المسـيلي (المتـوفى6هـ 12م) فقـد نسـج علـى منـوال "الإحيـاء" كتـاب " التفكـر فيمـا تشـتمل عليـه السـور والآيات مـن البـادئ والغـايات" جمـع فيـه بـين الفقـه والتصـوّف، ولقّـب بأبي حامـد الصـغير، أصـبح كتـابا متـداولا عنـد البجـائيين وغطّـى بشهرته كتاب "الإحياء."

وفي أواخر القرن (5هـ 11م) وأوائل (6هـ 12م) هاجر عدد من الأطر الزهدية من تلمسان والجزائر إلى الأندلس من أجل التعلّم على يد كبار صوفيّتها ومن بينهم الفقيه أبي الحسن بن أبي القنون، والزاهد أبي موسى بن حماد الأوربي، ويعقوب بن حمود التلمساني، وأخذوا عن القاضي أبي علي الصدفي "آداب الصحبة للسلمي" و"رياض المتعلّمين" و" حلية الأولياء" لأبي النعيم الأصفهاني، وعند عودتهم إلى مواطنهم عملوا على نشرها بين الطلبة والمريدين" الصوفية."

مصنفات المشرق الأقصى :

مؤلّف أبي محمد صالح الماجري شيخ رباط أسفي الّتي دخلت بجاية وقلعة الحمادين مع الصوفي أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي وهي: كتاب "بداية الهداية" وكتاب " تلقين المريد" وكتاب "شرح المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" لأبي حامد الغزالي وشرح الرسالة القشيرية، وكتاب "قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء الصديقين" لعبد الرحمان بن يوسف البجائي.

حيث شكّلت أهمية كبيرة في بلورة أفكار الأدب الصوفي.

أمّا دور صوفية المشرق الطارئين على المغرب الأوسط يكاد يكون بسيطا من ناحية تبسيط مضامين المصنّفات الصوفية وجلبها، حيث وجد الصوفي أبو محمد عبد الله الشامي وجوده في تدريس كتاب الإرشاد لأبي المعالي ببجاية. إلاّ أنّ الدور الكبير كان للمهاجرين الصوفيين الأندلسيين إلى المغرب الأوسط في القرنين (6 و7 هـ)، فهجرتهم كانت عاملا رئيسيا أدّى إلى دخول المصنّفات الصوفية ورواجها.

فألّف عبد الحق الإشبيلي ببجاية مجموعة من المؤلّفات الزهدية منها كتاب " الزهد" وكتاب" الصلاة والتهجّد" وكتاب " أشعار زهدية في أمور الآخرة" وكتاب " العافية في ذكر الموت" الّذي يعدّ مصدرا زهديا نهل منه الصوفية واعتمدوه مرجعا في كتاباتهم، منهم

الثعالبي عبد الرحمان في كتابه" العلوم الفاخرة". وفي خضم الاضطرابات الحاصلة في بلاد الأندلس فرّ أعلامها نحو بجاية وتلمسان حاملين معهم مصنّفات التصوّف، فأدخل أبو الحسن عبد الله النفزي الشاطبي مختصره على حلية الأولياء لأبي النعيم، وعمل على تلقينه للطلبة. وكذلك درّس الإشبيلي "قوت القلوب" لأبي طالب المكي و "الإرشاد" لأبي المعالي، وبسّط مضامينها للطلبة. كما قام أبو العباس أحمد بن عجلان القيسي بتلقين طرق ومناهج الصوفية والصالحين لجمهور العامّة وتدريس " فضل قيام الليل" و" فضل تلاوة القرآن" للإمام بكر الآجري.

أمّا بالنسبة للصوفي محي الدين بن عربي (ت 638هـ 1240م) فقد صمّم بعض الباحثين على إدراج مؤلّفاته ضمن قائمة المصنّفات الّتي ساهمت في نشر ونشأة اتّجاه "وحدة الوجود" في المغرب الأوسط من منطلق تأليفه لكتاب " مواقع النجوم" قبل دخوله بجاية.

أمّا تلمسان فنزل بها الزاهد" عبد الرحمان التجيبي (610هـ 1214م) وقد ساهم في التراث الأدبي الصوفي بعدد كبير من المؤلّفات أبرزها " الأربعين في الفقر والفضيلة" وكتاب "الحب لله". والّتي كان يدرسّها على الطلبة، وهي في مضمونها دعوات إلى ترغيب النفوس في ترك الدنيا والإقبال على التصوّف. وقد استعمل في ذلك أسلوب الوعظ والتذكير بما وعد الله عز وجل عباده من جنّات ونعم. هذا وكتب الخزرجي في نفس السياق أشعارا دعا فيها إلى القول بـ" وحدة الوجود" وهو واضع كتاب " أسماء الله الحسنى ."

والبعض الآخر من الصوفية الّذين اضطرّتهم طبيعة المناخ الفكري والعلمي في الأندلس إلى مغادرتها واللجوء إلى تلمسان، ومن هؤلاء الصوفية نجد أبو إسحاق المعروف بابن المرأة وهو صاحب كتاب" شرح أسماء الله الحسنى" بالإضافة إلى علي بن أحمد الحرالي الّذي وفد إلى بجاية وعاش فيها و ألّف عددا من المؤلّفات، منها "شمس مطلع القلوب وبدر طوالع

الغيوب " و" صلاح العمل لانتظار الأجل". أمّا ابن السبعين الصوفي الّذي انتشرت مؤلّفاته وتواشيحه في الوحدة المطلقة إلى جانب الصوفي علي الششتري الّذي ألّف في الموضوع ذاته، ومن كتب ابن السبعين" بدء العارف" و" عقيدة المحقّق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف" وكذلك كتاب "الحروف" وغيرها من الرسائل وهي عبارة عن نصائح صوفية. أما تلميذه الششتري فله " المقاليد الوجودية والرسائل القدسية في توحيد العامّة والخاصة" و"ديوان الشعر... "

المحاضرة الثالثة عشر: النثر الجزائري القديم:

نشأة الأدب الجزائري القديم:

إنّ الحديث عن الأدب الجزائري مرتبط ارتباطا وثيقا بالحديث عن اللغة العربية الّتي بدأت في الانتشار والذيوع بين سكّان المغرب العربي في أواخر النصف الأوّل من القرن الثاني للهجرة، حين تأسّست الدولة الرستمية الّتي جعلت لغتها الرسمية لغة القرآن لاتّفاق الجزائريين عليها، على أساس أنّها الأداة المعرفية الّتي تمكّنهم من الإلمام بالشريعة الإسلامية.

وقد مكّن لانتشار العربية أيضا النشاط التّعليمي المتجسّد في الفقه وتفسير القرآن وتأويل الحديث...على غرار البعثة الفقهية الّتي أرسلها عمر بن عبد العزيز إلى شمال إفريقيا البالغ عددها عشرة فقهاء. وقد طاب لبعضهم المقام، فأقام وتزوّج وأنجب ولم يعد إلى المشرق قطّ.

ويُضاف إلى هؤلاء أولئك الّذين صحبوا القادة الفاتحين الّذين كان الأمويّون يعيّنونهم، أو العبّاسيون يرسلونهم.

أهمّ العوامل الّتي ساعدت على انتشار اللغة العربية في شمال إفريقيا

1-هجرة بعض الفرق الإسلامية إلى بلاد المغرب. ولا سيما الخوارج الّذين تعرّضوا على عهد الأمويين إلى مذابح رهيبة جعلتهم ينتشرون في الأقطار الإسلامية بحثا عن الأمان وحرّية الرأي (الّتي يكفلها لهم الإسلام) وقد اتّجه بعضهم إلى المناطق الداخلية من

الجزائر(تيهرت) وجبال نفوسة بليبيا معربين عن رغبتهم في إقامة نظام للسلطة غير خاضع للخلافة العباسية بإعانة من البربر. هؤلاء الّذين ما لبثوا أن بايعوا عبد الرحمن بن رستم(فارسي الأصل) أميرا عليهم، وكان تأسيس أوّل دولة خارجية في التاريخ تصطنع العربية لها لسانا في الجزائر.

2-أثر تأسيس الدولة الرستمية في التمكين للعربية من الانتشار. على الرغم من الحروب و المعارك المتتالية، تمكّنت الدولة الرستمية من إقامة دعائمها في بيئة جزائرية صميمة، فشيّدت مدينة تاهرت أو تيهرت وخطّطت لعمرانها وحاولت تنظيم الجيش و تأسيس إدارة لتسيير شؤونها. ولم تألُ جهدا في إشاعة الثقافة ونشر العلم بين الناس. وكان عهد عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم(ثاني أمير يحكم تيهرت بعد وفاة والده) أزهى عهود الدولة الرستمية وأقواها، حيث امتدّت حدودها إلى تلمسان وما ولاها غربا (سجلماسة بالمغرب الأقصى) وإلى طرابلس شرقا وإلى الزّاب جنوبا.

3-الرحلة إلى المشرق لطلب العلم. ظلّ الناس يتبادلون الرحلة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق للسماع من أكابر العلماء و مجالستهم و مناقشتهم فيما كان يعرض لهم من مسائل العلم. ولعلّ أهمّ رحلة قام بها مثقّف جزائري هي رحلة بكر بن حمّاد الزناتي، وكان أوّل شخصية فكرية جزائرية(ميلادا ونشأة ونسبا) تبوّأت شهرة في المشرق و المغرب والأندلس حتّى تصدّر للتّعليم بالقيروان عام أربعة وسبعين ومائتين للهجرة.

المحاضرة الرابعة عشر: عوامل نشوء الأدب الجزائري القديم

1-عامل الفتن والحروب

عرفت منطقة شمال إفريقيا من القرن الأوّل إلى الثالث للهجرة اضطرابات وانتفاضات وفتنا وثورات عديدة وحتّى الدولة الرستمية لم تسلم من تلك الفتن، وإذ وبمجرّد وفاة مؤسّسها (عبد الرحمن بن رستم) عادت الانقلابات و الحروب لتطفو على السطح من جديد

(محاصرة أبي يقظان لتيهرت سبعة أعوام حتّى استسلم له عبد الوهّاب بنعبد الرحمن). وكان لتلك الحروب أثر على الحياة الأدبية، إذ كان لابدّ على الدولة-بحكم خارجية مذهبها وقيام نزعتها على الجدال الشديد والحوار العنيف- أن تصطنع اللسان والعقل لإقناع الخصوم وطمأنة الأشياع.

ولما كانت الدولة الرستمية منتمية إلى المشرق العربي فكريّا ومذهبيّا وحضاريّا، فإنّها لم تستطع أن تنفصم عنه، وكانت تجلب من هناك الكتب لإثراء مكتبة تيهرت لغويّا، وهو ما مكّن للعربية وساهم في انتشارها.

2-الازدهار النسبي للثقافة والعلم

كان الرستميون يجتهدون في كلّ في نقل كلّ ما يصدر من كتب ذات شأن في المشرق(خصوصا في بلاد عمّان) حتّى إنّ عبد الوهّاب بن عبد الرحمن ابتاع من البصرة في دفعة واحدة حمل أربعين بعيرا من الكتب(ما لا يقلّ عن عشرة أطنان) وقد أُودعت هذه الكتب في أوّل مكتبة أسّست في تيهرت وهي مكتبة "المعصومة" الّتي أحرقها الشيعة حين أسقطوا الدولة الرستمية(الخارجية) فلم يُبقوا من كتبها إلاّ ما نذر (مالم يكن يتعارض مع إديولوجيتهم).و الرغم من أنّ هذا العهد كان مبكّرا من تاريخ الجزائر الثقافي، فإنّ كتب التاريخ حفظت لنا نتفا من النصوص الشعرية وبعض الرسائل الأدبية الّتي تمثّل باكورة الأدب العربي في الجزائر. على أنّ التاريخ الأدبي لم يحفظ لنا من النصوص الأدبية إلاّ ما ارتبط بإحدى الشخصيات الحاكمة، ذلك لأنّ أمراء بني رستم كانوا جميعا مثقّفين ثقافة أدبية ودينية. (مثل أفلح بن عبد الوهاب)

إنّ ما وصلنا من شعر كان باللغة العربية الفصحى بالرغم من أنّ الرستميين كانوا فرس. ويعود ذلك إلى ثلاثة عوامل:

أ-إنّ العربية هي لغة الإسلام، فكان من العسير تبنّي لغة عير العربية لمخاطبة المسلمين.

ب-كانت اللغة العربية لغة عالمية، فكان من العسير فرض لغة أخرى في تلك الدول العجمية الانتماء.

ج-لم تكن اللغة البربرية ترقى إلى مستوى لغة العلاقات العامّة مع بلدان المشرق.

3-حبّ الحرية

عرف الخوارج بتطلّعهم الشديد إلى الحرية وحبّهم العارم لها وبجرأتهم الفائقة على الثورة ضدّ النظام السياسي الحاكم لأدنى الأسباب. فقد كانوا يدعون للخروج عن الحاكم الجائر ويكفّرون بكلّ بساطة مرتكبي الذنوب. ومثل هذا التشدّد في مواقفهم ومعاملاتهم للآخرين هو الّذي جعلهم يحيون دائما في حال المتأهّب للثورة أو الانتفاض على الحكم أو الخروج على جماعة المسلمين لأدنى الأسباب الاعتقادية، ينضاف إلى ذلك رفضهم لوجوبية الأمير من قريش وحدها.

ومن العوامل الأخرى لازدهار الأدب والثقافة العربية بتيهرت، مجاورة الرستميين لإمارات خارجية أخرى شمالا وغربا وشرقا، ما شجّع التنافس والحرص على تقريب الشعراء وإغرائهم بمدحهم، ثمّ تشجيع الرستميين (بحكم انتمائهم روحيا وعرقيا إلى المشرق العربي) على الرحلة في طلب العلم، وحرصهم الشديد على استنساخ الكتب الّتي كانت تأتيهم من المشرق، والحفاظ على ارتباطهم بخوارج المشرق وربطهم لعلاقات مودّة مع الحاكمين في الأندلس.

المحاضرة الخامسة عشر: أنواع النثر الجزائري القديم:

1-فن الرسالة:

لا أحد بإمكانه أن ينكر فضل تلك المؤثّرات الّتي تلقّى المغرب العربي نسائمها بعد الفتح الإسلامي من المشرق، حيث تعمّقت صلة المشرق بالمغرب وأصبحت تسري في تراثه الغني والمتنوّع، بكل ملابساته الثقافية وأنماطه الفكرية. وظلّ الفكر المغربي في رؤاه وتصوّراته ينهل من الموروث المشرقي الأصيل متفاعلا معه ومنفعلا به، متأثّرا به ومؤثرا فيه. ويتجلى ذلك في

العلـوم الإسـلامية والشـرعية والنصـوص الأدبيـة والنقديـة والدراسـات الفلسـفية والكلاميـة، الأمـر الّذي أسهم في تبلور عدد من الفنون النثرية كالخطابة والرسالة على وجه الخصوص.

إنّ مـا يعثـر عليـه الباحـث عليـه مـن رسـائل مبثوثـة في المصـادر القديمـة يـدلّ علـى أنّ هـذا النّـوع مـن النثـر كـان متـداولا مألوفـا، ومـرد قلّـة وصـوله إلينـا يعـود إلى عـدم توثيقـه كمـا هـو الشـأن في البدايات الأولى لكلّ ما هو قديم.

لم تكـن الرسـائل علـى هـذه المرحلـة ومـا يليهـا زمنيـا ذات طـابع أدبي فحسـب، بـل كانـت تتعـدّى الأدب إلى شـتّى مجـالات الحيـاة المعرفيـة والثقافيـة وحـتّى الاجتماعيـة. فضـلا عـن مستوى اللغـة الّـتي تكتـب بهـا والّـتي تعكـس قـدرة كـلّ مـن المرسِـل والمرسَـل إليـه في الـتحكّم في ناصية اللغة.

ويـرتبط الفـن الترسـلي علـى هـذا العهـد في أغلبـه بحكـام الدولـة الرسـتمية أنفسـهم. وإذا اقتربنـا مـن العلاقـات الرسـائلية نجـدها تعكـس لـونا مـن ألـوان التمـدّن، مثلمـا تعكـس قـدرة العصـر البلاغية.

وقـد جمـع لنـا "سـليمان البـاروني" في كتابـه" الأزهـار الرياضـية" بعضـا مـن النصـوص الرسـائلية الّـتي صـدرت غالبـا عـن أمـيرين اثنـين همـا: أفلـح بـن عبـد الوهـاب بـن عبـد الـرحمن بـن رسـتم، وابنه محمد بن أفلح بن عبد الوهاب.

2–فن المنامات:

يعـدّ "المنـام الكبـير " لأبي عبـد الله محمـد بـن محـرز بـن محمـد الـوهراني المصـنّف الأدبي الأشـهر في الـذاكرة السـردية التراثيـة المحليـة. ويتمثّـل إرث الـوهراني الأدبي في مجموعـة مـن النصـوص النثريـة كتبـت في أشـكال أدبيـة متنوعـة: منامـات ومقامـات ورسائـل وخطـب، جمعـها كتابـه الموسـوم بـ "منامـات الـوهراني ومقاماتـه ورسـائله". ولقـد صـنّفت معظـم الدراسـات الـتي اهتمـت بأدب الـوهراني ضـمن خانـة الأدب السـاخر. وقـد رأت معظـم تلـك الدراسـات أنّ

الـوهراني نسـج كتابـه علـى منـوال كتّـاب المشـرق، حيـث تعالقـت مقاماتـه جماليـا بمقامـات الهمـذاني و مناماتـه برسـالة الغفـران لأبي العـلاء المعـري، ورسـائله برسـالة "التربيـع والتـدوير" للجاحظ. ورسالة "التوابع والزوابع" لابن شهيد الأندلسي.

3–فن الرحلات:

تفـوّق الرحالـة المغاربـة –بمـا فـيهم الرحالـة الجزائريـون– في هـذا النـوع النثـري، حيـث شـهد هـذا الفـنّ ازدهـارا ملحوظـا بدايـة مـن القـرن الحـادي عشـر المـيلادي. ربمـا مـرّدّ هـذا التميـز إلى طـول المسـافة بـين بـلاد المغـرب وبـلاد المشـرق الّـتي كانـت في الغالـب مقصـد الـرحلات المغربيـة، لـذا فمسـارات الكتابـة هـي الأخـرى سـتطول بالرحالـة، ممّـا يفسـح المجـال أمـام الرحالـة لتـدوين مشاهداته وملاحظاته.

ويتأسّـس الـنص الرحلـي الجزائـري القـديم علـى مرجعيـة عصـر الكاتـب وعلـى الثقافـة العربيـة الإسـلامية عامـة، ففـي الغالـب توخّـت النصـوص تصـنيف مختلـف مجـالات المعرفـة انطلاقـا مـن اهتمـام كتّابهـا بالفهرسـة الّـتي تجسّـدت عناصـرها في: الأوليـاء ومـراتبهم، الصـوفية وطبقـاتهم، الشـيوخ والعلمـاء، الأحـداث الماضـية والحاضـرة. فضـلا عـن ممارسـة الكاتـب لأسـلوب السـير ذاتي وما يدخل تحت بابه من كتابة المذكرات واليوميات .

مـن أهـمّ الـرحلات الجزائريـة القديمـة رحلـة المقّـري لأبي العبـاس أحمـد بـن أحمـد بـن يحـي المقـري التلمساني. الموسومة بـــ:" رحلة المقري إلى المغرب والمشرق."

ثمّ تأتي رحلـة المجـاجي الحجازيـة لصـاحبها عبـد الـرحمن بـن محمـد المجـاجي مـن مجاجـة (تقـع بالقـرب مـن مدينـة تـنس). ارتحـل إلى الحجـاز لتأديـة فريضـة الحـج سـنة: 1063هـ وهـو التـاريخ الـذي ذيّـل بـه رحلتـه. الّـتي تحمـل عنـوان "رحلـة إلى مكـة." وهـي مبتـورة البدايـة، أي مرحلـة الـذهاب، أمّـا الجـزء المتـوفّر فيمثّـل مرحلـة الإياب. رصـدت رحلـة المجـاجي مسـارات الطريـق مـن الحج إلى الجزائر العاصمة مشاقّها وأهوالها مرورا بالمزارات ولقاءاته بالعلماء ومجالسته إيّاهم.

وتعدّ رحلة أبي راس الناصري لمحمد بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر المعسكري المعروف بأبي راس من الرحلات الشهيرة، ألف أبو راس رحلته الجامعة لخدمة العلم والدين بأسلوب أدبي فني. زار في رحلته هذه الجزائر، قسنطينة، تونس، ثمّ القاهرة والحجاز. هناك التقى بالعديد من العلماء. سجل هذه الرحلة في الباب الثالث من مدوّنته الّتي تسرد سيرته الذاتية الموسومة بـ:" فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربّي ونعمته."

من أشهر الرحلات الجزائرية أيضا رحلة ابن حمادوش الجزائري الموسومة ب:"لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال." جزؤها الأوّل مفقود ممّا يعني أنّ تاريخ الشروع في كتابة المدوّنة مجهول. أمّا الجزء المتوفّر منها دوّن فيه الرحالة رحلته إلى المغرب الأقصى بحرا. وصف ابن حمادوش الأماكن الجغرافية التي ارتادها وصفا دقيقا، مركزا على عادات الجماعات فيها في المناسبات الدينية خاصة. وتعد الرحلة الورثلانية المعروفة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار. "

للحسين بن محمد السعيد الورثلاني أكثر الرحلات ثراء وشهرة. يتخلّل مسار السرد في الرحلة الورثلانية أسلوب الكرامات الّذي يتداخل في الكثير من الأحيان بالحقل الديني. وهو أسلوب لا يكتفي فيه الرحالة بتقديم الكرامات والخوارق، بل يتبنّى الكرامة ذاتها شكلا ومضمونا إلى الحد الّذي يصعب فيه التمييز بين أسلوب الرحالة وأسلوب الكرامة المنقول عن الآخر سردا وعرضا.

4–فن السيرة الذاتية:

يعدّ كتاب "فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربه ونعمته "للعلاّمة أبي راس الناصري المعسكري الجزائري من الكتب التراثية الهامّة الّتي يمكن أن تندرج ضمن فنّ السيرة الذاتية، وقد كان قدوته في هذا التأليف الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه "نزول الرحمة في

التحـدّث بالنعمـة. "هـذا بالإضـافة إلى أعـلام آخـرين جعلهـم أبـو رأس أسـلافا لـه في هـذا التأليف، منهم عبد الوهاب بن علي السبكي تاج الدين، صاحب "جمع الجوامع."

هـذا الكتـاب السـيري يعـدّ مرجعـا ثقافيـا ومـوروثا أدبيـا مهمّـا للبـاحثين والمختصّـين في دراسـة الـتراث العـربي الإسـلامي في أواخـر العهـد العثمـاني فضـلا علـى احتوائـه علـى الكثـير مـن المسـائل الشـرعية واللغويـة وآراء العلمـاء المختلـف فيهـا. كمـا أنّـه يضـمّ بعـض الـتراجم للكثـير مـن أعـلام ذلـك العهـد. كمـا يخـبرنا بحيـاة الطلبـة بالمغـرب الأوسـط، والمنـاظرات العلميـة والفقهيـة الّتي كانت تدور بين الشيخ وبين علماء عصره في مختلف الأقطار الّتي زارها.

5– فن التراجم:

تعـدّ الـتراجم إحـدى الفنـون النثريـة الّـتي تسـتقي مادّتهـا مـن التـاريخ والمواقـف الإنسـانية وتجـارب البشر. وقد

كانـت الحاجـة إلى العنايـة بالأعـلام ماسّـة في صـدر الـدعوة الإسـلامية. وكـان أكثرهـا أهميـة سيرة الرسـول صـلى الله عليـه و سـلم، ثم أعـلام الصـحابة والتـابعين و رجـال الحـديث والـرواة .

ووضـعت لـذلك كتـب في السـيرة و الطبقـات. ثم أفـاض الكتـاب في تـراجم الأعـلام مـن الصـحابة والتـابعين و العلمـاء والأدباء و لم يتركـوا أهـل فـنّ أو علـم إلا ترجمـوا لهـم و عرّفـوا بهـم وربمـا قيّـدوهم في مجموعـات عرفـت فيمـا بعـد بالطبقـات حـتّى شملـت الـتراجم خاصـة النـاس وعامّتهم.

وقـد عرفـت الجزائـر في القـرن الثـامن الهجـري حركـة تأليـف واسـعة النطـاق، شملـت مختلـف أنـواع العلـوم المعروفـة آنـذاك الّـتي كانـت تـدرس في مسـاجد تلمسـان والجزائـر وبجايـة وقسـنطينة وبونـة. ويعـدّ كتـاب الوفيـات لأبي العبـاس أحمـد بـن حسـن بـن علـي بـن الخطيـب الشـهير بابـن قنفـذ

القسنطيني (740هـ -810 هـ) معجم زمني لوفيات الصحابة وأعلام المحدّثين والفقهاء والمؤلّفين. واستهلّه بوفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام - إلى أن وصل إلى سنة807هـ.

أما مصنّف أبي العباس أحمد الغبريني الموسوم بـ "عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السّابعة في بجاية." من أهمّ المصادر التّاريخية، يختصّ برصد ملامح الحياة العلمية والثقافية لمدينة بجاية في القرن السابع الهجري. ترجم فيه صاحبه لعدد من المؤرخين والعلماء من الجزائر وتونس والمغرب والأندلس.

6-فن الشروح الشعرية:

تمثّل الشروح الشعرية ظاهرة متميّزة في الثقافة العربية الإسلامية، فما كان يظهر مصنّف إلاّ ويتصدّى العلماء لشرحه والتعليق عليه، وذلك لارتباطه بالغاية التعليمية الّتي يرمي من خلالها الشارح إلى تبسيط المادة التعليمية للمتعلّم، وإزالة عوائق استيعابها. وقد جعل المغاربة والأندلسيون الشروح الشعرية حقلا لنشاطهم التأليفي، حتّى أصبحت هذه الظاهرة أمرا لافتا في منتوجهم الأدبي والنقدي .من ذلك:

-شرح أبي راس الناصري لقصيدة "العقيقة" الّتي ألّفها أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني-الّذي عاش في القرن 11الهجري-في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) و الصحابة و الأنصار و البقاع المقدّسة الموسوم " الدُّرة الأنيقة في شرح العقيقة" وقد أكّد أبو راس الناصري أنّ هذه القصيدة- على الرغم من أ نّها من الشعر الملحون- إلاّ أنّها راقية تشبه القصائد الحجازية الفصيحة. وأنّ الأدب الجزائري عريق. وجذوره متأصّلة، وعلى الدارسين البحث في هذا الموروث الأدبي العظيم، وعدم طمسه و تضييعه بفعل النسيان.

-شرح علي ابن ثابت القرشي (829هـ) لقصيدة "البردة"

و الملفت للانتباه أنّ مجال شرح البردة قد اتّسع في المغرب والجزائر وتنوّعت أغراضه وتشعّبت اتّجاهاته وتمخّض عن إسهامات هامّة في هذا الحقل، ومن تلك الشروحات نجد:

-شرح ابن مرزوق التلمساني (الجد) (710-781هـ) .

-شرح سعيد العقباني التلمساني (720 -811هـ) .

-شرح ابن مقلاش الوهراني.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر

1-أبو الفرج الأصفهاني-الأغاني-بيروت- دار الكتب العلمية -ج3-1992.

2-أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني-شرح المعلّقات السبع-بيروت-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-2007.

المراجع

1-ادونيس(علي أحمد سعيد) -كلام البدايات-

2-إحسان عباس- فنّ السيرة- بيروت- دار الثقافة -ط 2-1900.

3- أحمد أمين مصطفى- فن المقامة بين البديع والحريري والسيوطي- المكتبة الأزهرية للتراث-ط1-1987.

4-أحمد الإسكندري ومجموعة من المؤلّفين-المفصّل في تاريخ الأدب العربي-القاهرة-مكتبة الآداب-2005.

5-أحمد الهاشمي-جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب- بيروت-مؤسّسة المعارف.

6-أنيس المقدسي-تطور الأساليب النثرية-بيروت-جامعة بيروت الأميركية، الدائرة العربية، وقفية ثيودور-1935.

7-شوقي ضيف-تاريخ الأدب العربي-مصر-دار المعارف-ط2.

8- شوقي ضيف- الفنّ ومذاهبه في النثر العربي- دار المعارف – ط13.

9-النثر الفني في القرن الرابع هجري - المكتبة العصرية للطباعة والنشر -1987. -زكي مبارك-

10-عبد الله كنون -النبوغ المغربي في الأدب العربي – ط2-1960

11-عبد المالك مرتاض- فن المقامات في الأدب العربي-الجزائر-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-1980.

12-عبد المجيد عابدين- الأمثال في النثر العربي القديم—القاهرة-دار مصر للطباعة-ط1-1956

13-عبد المنعم خفاجى-دراسات في الأدب الجاهلي و الإسلامي-بيروت- دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع-ط1- 1992.

14-عمر الدقاق- ملامح النثر العباسي-بيروت- دار الشرق العربي-1900.

15-عز الدين إسماعيل-الأدب وفنونه دراسة ونقد -دار الفكر العربي-2013

16-محمد رجب النجار- النثر العربي القديم –الكويت- مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع-2002.

17- محمود المقداد -تاريخ الترسل النثري في العصر الأموي- دمشق- دار الفكر المعاصر-1993.

18-مصطفى صادق الرافعي-تاريخ آداب العرب-مصر-مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة-2012.

19-نجوى عبد العزيز، عبد السلام بناني- حسان بن ثابت والمذهبة الإسلامية الأنصارية(الأدب الإسلامي)-جامعة أمّ القرى- عن الشبكة العنكبوتية.

20-يحي الجبوري-الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه-بيروت-مؤسّسة الرسالة-ط5-1986.